وليم شكسبير

اغتصاب لُوكْريس



أول ترجمة إلى العربية بقلم

محمد عبد الوهاب حمدي

صياغة شعرية

خالد مصطفى الغفاري

رائعة وليام شكسبير

اغتصاب لُوكْريس

أول ترجمة إلى العربية بقلم

محمد عبد الوهاب حمدي

صياغة شعرية

خالد مصطفى الغفاري



شكسبير ، وليام ، ١٥٦ - ١٦١٦
إغتصاب لوكريس / وليم شكسبير
ترجمة / محمد عبد الوهاب حمدي – ط ١
صياغة / خالد مصطفى محمد
الإسكندرية المكتب الجامعى الحديث ٢٠٠٧
٢٠٠ ص ، ٢٥ سم
تدمك: ٣ - ٢٢ ٠ – ٤٣٨ – ٩٧٧
رقم الإيداع :٢٣٥٧٩
الترقيم الدولى / ٣ - ٢٢ ٠ – ٤٣٨ – ٩٧٧

الترجمة:

* محمد عبد الوهاب حمدي

- ليسانس آداب في اللغة الإنجليزية وآدابها، كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٧٧م.

- دبلوم الدراسات العليا في الأدب الإنجليزي.

صدر له:

مسرحية " السكرتير الخصوصي"

للكاتب ت.س. إليوت. عن وزارة الإعلام دولة الكويت عام ٢٠٠٠م.

- عمل بتدريس الترجمة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

من أعماله التي لم تنشر:

. دراسة مفهوم الحب الميتافيزيقي. للشاعر الإنجليزي (جون دن)

. دراسة حول المرأة والشيطان في عيون الأدب العالمي.

. قصيدة " اغتصاب لوكريس" لوليم شكسبير.

. المرأة الغامضة في حياة وليم شكسبير وقصائده حولها.

الصياغة:

* خالد مصطفى الغفاري

- ليسانس آداب في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب جامعة عين شمس عام ١٩٨٩م.

- له عدد من المقالات في المجال الأدبي والفلسفي والاجتماعي.

من أعماله:

.رواية (مشهد تاييس الأخير) تحت النشر.

.رواية (على مذبح التأويل).

.رواية (فتح نضال السعدوي)

.كتاب (الأصلح). بحث عن الإنسان الأصلح لعمارة الكون.

.كتاب (حكاية نبضة) الجزء الأول — تحت النشر ، وهو بحث في عقل الإنسان ونفسه وعلاقاته الاجتماعية.

.رواية "فاتنة الساحل والشيطان" ميلاد الأمير



وليام شكسبير

المقدمة

١- وليام شكسبير العَلَم، أديب وشاعر موهوب لا يقدمه للتاريخ صاحبُ قلم، من خير من ألف للمسرح ونظم، في رائعته " اغتصاب لوكريس" يضفي رونقًا مغايرًا لأسطورة نُسجت بين يوميات البشر، وتناقلتها الألسن نهارًا وتحت ضوء القمر، وسطرتها الأقلام بين دفتي كتاب قد نُشر قبل أن يبلغ شكسبير الوعي من العُمُر، فإذا به يضاعف الأسطورة بعبقرية غير مسبوقة، نظمت عقدها الفريد لُغَتُه، وصورَه البلاغية البديعة، وموسيقاه الزخرفية المبتكرة، أضف إلي هذا كله خبرة حياتية قلما توفَّرت لأديب قبله أو بعده، مكَّنته من تنوع نغمات السرد، ناهيك عن تسليمه مفاتيح الأماكن الوعرة داخل كهوف النفس البشرية، ليفتح ويقتحم ويبلّغ وينشر ويفسر ما يعتور أنفسنا من قوة تزيِّنُها، وتصفُّها في صفوف المعتدلين، وهفواتٍ وضعفٍ ورضوخ للشهوات والملذات والشياطين، يودي بَها إلى أسفل السافلين، ويسبب الشقاء للجماعات والشعوب التي طالما دفعت ثمن أمراض غيرها، وأخطائهم.

سيداعب شكسبير أوتار قلبك ، لتفتح مخازن الدمع لديك، تزرفها بشدة على حال سيدة تعرفها، حين يصفها لك، قريبة منك حين يحكي لك حكايتها، هي تعرفك ، بل صديقتك القديمة حين تتعاطف معك في صورتك، وفجأة يصيبك بصدمة موضوعية فتنتبه، لقد **قتل الزوج زوجته**، وها أنا أفعل بل أحرص على تقليد كولاتاين (قاتل لوكريس في نظر عدد ليس

بقليل من النقاد) في حرمان زوجتي أبسط حقوقها وهو حق المعرفة، حقها في أن تعي كيف تسير الحياة.

ولهواة الاعتراض على الفكر السوي، أقول: لقد حرمها خبرته الحياتية ، لم يجلس للحديث معها عن صروف الزمان، وتقلبات أجوائه، وتناغمات شياطينه، ونفسٍ وما سوّاها من خير ، وشر ، منقبضة عنيفة ملتفة متلونة آمرة بصنوف من الشر ، حاقدة، حاسدة، ومنبسطة، لطيفة، سوية، مستقيمة، ناهية عن كل ما يجرح، تستحي أن تتسبب فيه لأحد.

ولا يفوتنا هنا الإشارة إلى قول النّاقد الكبير " **دافيد بيفنجتون** "عن العلاقة بين قصيدة شكسبير الأولى: " **فينوس وأدونيس**[1] " وقصيدته الثانية التي بين أيدينا " **اغتصاب لوكريس** "، فالأولى نظمها عام ١٥٩٣م، والثانية نظمها عام ١٥٩٤م، وقد أهداهما إلى الشخص ذاته؛ "**السّيّد هنري رويت سلاي**" ، إيرل سوثماوتِن، وبارون تتشفيلد، والذي بدا أنّ شكسبير قد اكتسب المزيد من ثقته ووطّد صداقته في الفترة بين القصيدتين.

والقصيدتان مكملتان لبعضهما (على الأقل في تصوير المرأة بصفة عامة) ليس فيما يتعلق بالموقف أو الموضوع، فـ"اغتصاب لوكريس" أكثر جدية، ومأساوية، وموضوعها (العفة البطولية) في حين نجد قصيدة "فينوس وأدونيس" تدور في فلك المتعة الحسية. ولذا يرى النّاقد " **هارفي** " أن قصيدة "فينوس وأدونيس" تتلاءم أكثر مع الشّباب، وتجد قابلية

---

[1] أهداها الأستاذ محمد عبد الوهاب حمدي للمكتبة العربية في أول نقل للعربية.

لديهم، ومتعة أكبر، في حين أنّ قصيدة " اغتصاب لوكريس " تناسب أكثر البالغين والأكبر سنًا، حيث التعقل والتروي.

بينما يربط آخرون بينها أي قصيدة " اغتصاب لوكريس " ومأساة "هاملت"، ويرون أن شكسبير حاول في هذه الأعمال الوصول إلى أعلى درجات التأثير العاطفي على وجدان القارئ، ولذلك اختار شكسبير المقطع ذا السّبع سطور لأنه الأنسب للموضوعات المأساوية.

وقد أسهمت قصيدة " اغتصاب لوكريس " في رفع أسهم شكسبير عاليًا، فقد أعيد طبعها في حياته سبع مرات متتالية، (طُبعت قصيدة "فينوس وأدونيس" تسع مرات أثناء حياته)، ويعود الأمر إلى الشّهرة الواسعة التي حظيت بها قصة لوكريس في العالم القديم، والعصور الوسطى، مما جعل منها مثالا للعفة تحتذيه النّساء.

وقد استقى شكسبير من كتاب "فاستي Fasti " لأوفيد (الكتاب الثاني صفحات ٧٢١ ـ ٨٥٢)، وقد اطلع على كتاب ليفي "تاريخ روما" (الكتاب الأول الفصول ٥٧ ـ ٥٩)، وربما اطلع أيضا على كتاب تشوسر "أساطير السّيدات العفيفات" وغيرها من المصادر العديدة لهذه الأسطورة.

ونحن هنا إذ نقدّم بفخر القصيدة الثانية " اغتصاب لوكريس " بعد رائعته الأولى " فينوس وأدونيس " نكون قد وفينا بما وعدنا حين قدمنا القصيدة الأولى لأول مرة.

وقد اعتمدنا في ترجمتنا على أكثر من طبعة أصيلة لتوثيق النص، منها:

1) THE ARDEN SHAKESBEARE
THE POEMS
Edited by: F.T.PRINCE

2) "SHAKESBEARE"
THE POEMS
Edited by: DAVID BEVINGTON

مستأنسين بآراء وشروحات النقاد المنشورة بمواقع مختلفة على شبكة المعلومات العالمية ((الإنترنت)) .

١ـ١ موضوع القصيدة:

أدبٌ يدعو الناس إلى المحامد و التحلي بالخلق الفضيل والقيام بأمر جلل، أدبٌ يستهدف الإقناع والحث على القيام بعملٍ مؤثر، والدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي ، وفي الوقت ذاته يحدث الكثير من اللذة الجمالية ، والمتعة لدى قارئ شكسبير.

لو قام شكسبير الشاعر بإلقاء هذه القصيدة في جمع من الناس لبكّاهم، ولأثار حماسهم بما يكفي لجرف الجبال تحت وطأة أقدامهم الغاضبة، والتأثير ذاته حادث إذا ما أداها ممثلون أمام الناس، خطبة هي، أم حدوتة مسلية؟ فِكر، أم نقل؟ بل أسطورة، أحياها من بين المتراكمات، وأضفى عليها المعنى الاصطلاحي للكلمة، فما يفوق الوصف من أفعال البشر ننعته بالأسطورة.

والقارئ يكتشف من البداية أن شكسبير رغم أنه عرض ملخص الأحداث قبل القصيدة، إلا أنه اقتطع عامدًا الكثير منها، فلم يتعرض للوسيوس تاركينوس واغتياله لوالد زوجته للاستيلاء على روما، وكذا تفاخر كولاتين المندفع بسذاجة بزوجته العفيفة لوكريس، على مرأى ومسمع ابن الملك الشّبق سكتوس تاركينوس، ولم نشاهد أيضًا في نهاية القصة كيف تم الانتقام لاغتصاب لوكريس. وهذا كما ذكرنا قطع متعمد، للتركيز على ما يخدم فكرة خاصة في ذهنه، بالتركيز على مواقف البطلين الرئيسين لوكريس وتاركوين. ومما يسهم من

جانب آخر في إزالة فكرة الاستطراد والإطالة المزعومة من قبل بعض النقاد.

ولو عدنا لتأثير إلقاء القصيدة أو أدائها أمام المتلقي، لجاز لنا الحديث عن موضوع سياسي جال بخاطر شكسبير عندما همَّ بكتابة القصيدة، وما الإطاحة بعرش الملك إلا سياسة، ولا حمل جسد لوكريس المغتصبة ، والسير به في شوارع روما إلا ثورة، انقلاب على حكم، وهو سياسة كذلك. أما الشرح التفصيلي للوحة سقوط طروادة، ففي رأينا دليل آخر على الإسقاط السياسي، والذي علت نبرته هنا بالتحديد أمام جروح الظلم النازفة دما.

ولكن أيتركنا الجانب الاجتماعي البارز في القصيدة، نضع القصيدة في جعبة السياسة؟ كيف والقضية اغتصاب؟ كيف والمغتصبة زوجة بسيطة، لها في أن تعيش في ظل مجتمعها حياة هانئة؟ ولو علمنا أن تلك الهناءة الاجتماعية، توفرها قيادة رشيدة، عادلة، لانتبهنا إلى تمازج الشقين الاجتماعي والسياسي في القصيدة. إلا أنه وكما رأينا السياسة كموضوع فرض نفسه على القصيدة في الفقرة السابقة، نجد من يزعم أن مغتصب لوكريس الوحش هو ذلك الزوج المهمل، الزوج البخيل، الزوج الأناني، حين استأثر بخبرة الحياة له وحده، وترك زوجته تغط في ثبات التعاليم القليلة التي تلقتها عن أسرتها حين حَبَتْ بين أيديهم، لم يزد على ثقافتها ثقافة، لم يمد خبرتها بخبرته، تركها، بل فرح بها غُفل يوم خرجت من بطن أسرتها، فكانت الداهية، حين قضت عليها سذاجتها، حين عميت عن التفريق

بين عيون البشر وعيون الشيطان القادم لاغتصابها، حين قتلت حواسها فلم تستشعر شرا في صورة "تاركوين" الباهرة.

اغتصبها زوجها حين عصب عينيها عن الدنيا، فلم يرد أن ترى غيره، وهذا بالدرجة الأولى موضوع اجتماعي، ربما أراد به شكسبير نقد القيم الاجتماعية السائدة في عصره، والتي تشبه إلى حد كبير ما يجري بين أروقة وأزقة شوارع العواصم العربية حتى يومنا هذا، مما يحثنا على تجديد دعوى شكسبير لمراجعة القيم والعادات السائدة في مجتمعاتنا، ربما انقلبت الحجارة على واضعيها، فثورة بيضاء توجهنا إلى الطريق الصحيح، أو جهل يطبق على صدورنا أكثر فنموت مغتصبين.

ولهذا المنحى وجاهته وحججه الواضحة في تركيز شكسبير على نتائج أعمال شخصياته، والتي أدت إلى تعقيدات اجتماعية ودينية، قصد شكسبير أن يناقشها كل من يقرأ عمله، فما ترتّب على عملية الاغتصاب كان وسيلة شكسبير للكشف عن قيم الزّواج السّائدة في المجتمع الدّيني، حيث التّنافس على استحواذ المرأة وملكيتها، ووضع المرأة في المجتمع، وهذا واضح في حديثه عن وصف كولاتين لزوجته لوكريس، مستخدما كلمة ثروة، وامتلاك، وحوزته.

٣/١٥ فَفي اللّيْلَةِ السابِقَةِ عِنْدَ تاركوين في خَيْمَتِهِ،

كَشَفَ عَنْ كَنْزِ الْغَامِرَةِ سَعادَتِهِ.

وَأي ثَرْوَةٍ نفيسة السَّــماءُ مَنَحَتْهُ،

بِامْتِلاكِ كُلٍّ هَذا السِّحر والْجَمالِ زَوْجَتِهِ،
وَسَهْمَ حُظوظِهِ بِفخر سما بمكانته،
قَدْ يَتزَوَّجُ الْمُلوكُ بِنِساءٍ يَفُقْنَ شُهْرَةَ محبوبَتِهِ،
وَمِثْلُ السَّيِّدَةِ الْفَريدَةِ لا مَلِكًا أَوْ نَظيرَهُ تَكونُ بِحَوْزَتِهِ.

وحين وصف لنا حالة والد لوكريس وزوجها كولاتين بعد أن اغتالت نفسها، لاحظ كلمات مثل: وهبها الحياة، وكانت ملكي

١٨٠٠/٢٥٨ قال لوكريتس " يا إلهي ، هذه الحياة أنا من وهبها،
والتي اهدرتها مؤخرا في ريعانها"
وقال كولاتاين: " يالا حزني ، يالا حزني " كانت زوجتي،
لقد كانت ملكي ، ولقد قتلت بالفعل نفسي ،
" ابنتي " ، " زوجتي " ضوضاء شَبَّعت الهواء المتفرق،
والذي لروح لوكريس يطوِّق،
وأجاب على صوتهما: " ابنتي " و " زوجتي " .

ولا يغيب عنا أنّ شكسبير هنا قد استخدم روما كمرآة تعكس صورة بريطانية بعاداتها وقيمها، والتي حمّل المجتمع فيها لوكريس كبطلة مسئولية المحافظة على رابطة الزّواج

المقدسة، فهي التي تلقت الوصمة باغتصابها، وهي التي وجب عليها دفع ثمن إخلاصها .

وفي الإطار نفسه أكد عدد آخر من النقاد على أنَّ قصيدة "اغتصاب لوكريس" مأساة، شارك فيها كولاتين الزّوج، ولوكريس العفيفة نفسها، فهم يعتقدون أنّ عدم قدرة لوكريس على التّعبير عن أفكارها نتيجة طبيعية لطهارتها وعفتها المحبوسة داخل زنزانة، والملكية المطلقة لعقلها من قبل زوجها كولاتين. ويجمعون في النّهاية على أنّ عالم لوكريس مثاليا لا وجود فيه للخطيئة، أو الرّغبة القذرة، ولا معرفة بالطّبيعة الخفية الشّريرة للإنسان، وعواطفه ومشاعره المتناقضة، براءة وطهر يصلا إلى حد السّذاجة.

ويدلل " **جورج هنتر** " بشكل آخر أكثر تميزًا ومن النّص ذاته، على خواء المرأة في صورة لوكريس، وعدم قدرتها على التّمييز بين الخير والشر، في ملاحظته الرّائعة على لجوء لوكريس إلى الزمن Time لكي تبث شكواها، وتحاول أن تكتسب منه درسًا من دروس الشرّ، الذي ذاقت طعمه على يد تاركوين، غير مدركة أن الزمن مفهوم مجرد، وهذا في رأيه راجع إلى سيطرة الرجل (زوجها) عليها، فقد فقدت قدراتها الدّاخلية على التّمييز بين الخير والشرّ، فنراها تلجأ بشكل يدعو إلى السّخرية إلى الزمن طالبة أن يلقنها دروس الشرّ تلك:

٩٩٥/١٤٣ أيها الوقت، الخير والشر علّمتَ،

علمني ألعن مَن بالشرِ لقّنتَ!

ومِن ظله يفر اللص بجنون،
وقَتْلَ نَفسِهِ يحاول في كلٍّ حين،
فذاك الدَّمُّ الملوث يجب أن تريقَه تلك الأيادي البائسة،
فمن أكثر وضاعة ليقوم بمثل هذه الفعلة،
سوى جلادٍ[1] سيئ السمعة، لعبدٍ كهذا ذي خِسَّة؟

ويؤكد "**جون بافورد**" على فساد عقل لوكريس منْ خلال ربطها بين فقدان قدسية الرّوح بتلوث جسدها، وهذا بدوره منعها من كشف الدّور الذي لعبه تاركوين وزوجها كولاتين في اغتصابها والقضاء على حياتها، بكبريائهما وسطوتهما ، وحب التملك لديهم.

ولكنها أدركت في النّهاية أنّ جدالها عقيم، ولم تقوى على مواجهة قضيتها الحقيقية، لأنها غير واعية بطبيعة الواقع الذي تحياه، ومكانتها كامرأة، فلم ترى بدا من الخلاص من تلك الحياة بيدها:

١٠٣٠/١٤٨ يدي المسكينة: علام الرجفة من القرار؟
كرمي نفسك .. خلصيني من العار،
فحين أموت، شرفي بداخلك يحيا،

---

[1] كانت مهنة الجلاد (عشماوي) يُنظر إليها في ذلك الوقت باحتقار شديد.

وتعيشين في عاري إذا لم أفنى،

ودفاعًا عن الفاضلة سيدتك لم تستطيعي،

وجَرْحَ عَدَوِّها اللعين كنتِ تخشين،

فاقتليها لخضوعها، وبعدها نفسك تقتلين.

وتعليقا على هذا كله، وبالتحديد على قضية سذاجة لوكريس، بل عفويتها، طبيعة فكرها البسيط، وطيبتها، وأريحيتها المختلفة تماما عن باقي شخصيات المأساة، فقراءتها للوحة طروادة لأكبر دليل على هذا كلّه،

١٤٦٤/٢١٠ قالت: " أيتها الصورة فاقدة النطق"

سأترنم بأوجاعك، بلساني الناعي،

وأضع في جرح " برايم " المرسوم بلسما حالي،

واللعنة على " باريوس " الذي أساء إليه،

سأطفئ طروادة المحترقة منذ أمد بدمعي،

وأجرّح تلك العيون الغاضبة بسكيني،

لهؤلاء الإغريق أعداؤكِ الكُلِّ.

من يستطع قول هذا إلا لوكريس الحانية الرّقيقة؟ أي عقل له في حسابات الدّنيا وشرورها، يحتكم لأي منطق غير منطق لوكريس على مجاراتها في هذا القول لا يقوى، فكلماتها

متشبعة شفقة وبراءة غير معهودة عند بني البشر، فهي أكبر دليل على أنها من عالم آخر، ولذا قضت. وانظر إلى قولها التالي للوحة نفسها:

٢٢٤/١٥٦٢ وهنا انتابتها نوبة غضب شديدة و بعنف هاجمتها،

فلم يتحمل الصبر البقاء بين ضلوعها،

ومزقت سينون بليد المشاعر بأظافرها،

وقارنته بالتعس الجالب للأحزان ضيفها،

والذي بفعلته جعلها كارهة تمقت ذاتها،

وأخيرا توقفت متفوهة بهذه الكلمات ، متبسمة،

حمقاء، حمقاء قالت " إن جروحه لن تكون مؤلمة ".

فالموضوع يحمل الجانب السياسي، وتصوير تركيبة اجتماعية خاصة، كما وإنها تعبير عن انفعال شخصي ذاتي، كل هذا تم في تجسيد لنموذج أصلي أو مادة أسطورية.

١-٢ الإطالة..

وإذا اعتبر بعض القراء أن الكثير من فقرات الوصف المطولة أو التي تبدو ضئيلة الأهمية في رأيهم استطرادا، فلهم الحق أولا في قراءة شكسبير، وثانيا في نقده، إلا أنه يبدو أنه من حقي أن أوفي الرجل حقه، والعمل أيضا، فأرجو القارئ الكريم إذا أراد أن يقرأ شكسبير، فليعدّ لنفسه جلسة خاصة ينشد فيها الجمال، جمال اللغة، والأفكار، جمال الصور والإبحار في عالم شكسبير والغوص في أعماق التجربة، وليعلم القارئ الكريم أن القيمة ليست فيما تنقله اللغة بالدرجة الأولى، فاللغة الشعرية في حد ذاتها تحيلنا إلى نمط التعبير وقوانينه الخفية، ففي الشعر تُدرَك الكلمات باعتبارها كلمات، لا باعتبارها نائبا أو وسيطًا عن موضوع أو عن انفعال فقط، فالكلمات تكتسب في ترتيبها وشكلها الخارجي والداخلي ثقلا وقيمة لذاتها، حتى أنك تستطيع أن تقول أن اللغة الشعرية في أعمال كثيرة هي الوسيط وهي بالتالي الرسالة.

وإذا ما عرفنا أن مثل هذا العمل قد اقتطع من طاقة الرجل الكثير أثناء الكتابة، فليكن بالقدر نفسه القراءة، فليس هناك ما يمكن أن يسمى استطرادا، إلا إذا كان ذهن القارئ مشغولا بأمور حياتية أخرى، فلتؤدها إذن، ثم عد لتستمتع بكل تفصيلة وكل جملة بل وكل حرف يضيفه شكسبير إلى قافلة حروفه المحملة بالمعاني المحتشدة لتقديم الإشارات و الإيماءات لتضيف ثروة من التجربة والمعرفة أبعد من حدود التقرير الواضح و المتعة والعلاج والدرس.

أما لوحة طروادة، فقد علق عليها النّاقد " كينيث ميور " قائلا: أوضح شكسبير في لوحة طروادة العلاقة المنطقية بين الطبيعة والفن، كما أوضح كيف أن فهم لوكريس للعالم الخارجي، يتشابه مع اللوحة الفنية لاعتماد الاثنين على الأوهام والخيالات.

وأضاف قائلا: إنّ تأملات لوكريس أمام لوحة طروادة تمثل جزءًا أساسيًا من منطق شكسبير، وليست كما زعم الكثيرون بأنّها مجرد إضافة زائدة على القصة، من أجل إضفاء صبغة الأسطورة (الهومرية) المشهورة عليها.

ويرجع النّاقد " **جورج براندز** " عظمة القصيدة إلى روعة وضخامة الوصف، والتّصوير، وتحليلاتها النّفسية الدّقيقة. مما يعكس معرفة شكسبير وثقافته الجمة، ويعكس كذلك حِرَفيَّة راقية في نظم الشّعر.

ومن دعاة الإطالة المتعمدة النّاقد " **إدوارد داودن** " الذي يرى أنّ شكسبير عمد إلى الإطالة بكلّ الوسائل، رغم اعترافه بأنها إطالة جميلة عبقرية، حتى أننا نشاهد مشاعر لوكريس وهي في معاناتها تلقي خطبًا طويلة حول اللّيل والزّمن والفرصة...، ويقر باستمتاعه بشعر شكسبير وروعة صوره وبلاغته.

وهذا زعمٌ مردود إذا ما رأينا عقل شكسبير بصورة جلية ينسج خيوط مأساة لوكريس بخيوط مأساة هيلين طروادة في قوله:

١٥٤١/٢٢١ ومثلما رُسِمَ هنا بمهارة الماكرُ سينون،
مرهقًا وسيمًا، للغاية مهمومًا،
وكأنه فاقدٌ للوعي بفعل الحزن وعناء المسير،
بالصورة ذاتها زار مخيلتي مسلحًا مخادعًا تاركوين،
مرسومٌ على وجهه الخارجي الأمانة والصدق، مدنسين،
برذائل داخلية. وبدفءٍ برايم به رحَّب،
وبتاركوين رحَّبتُ أنا، وهكذا طروادتي دُمِّرتْ.

إسقاط رائع، فاللوحة نسخة من مأساة العزيزة لوكريس، رأتها، وعايشتها مع ألوانها، ولا يخفى على فطين انتقال شكسبير من الحديث عن مشاعرها باللسان، إلى إبرازها بالصورة، وكأنه أراد لعين القارئ أن تشاهد مشاعر لوكريس.حين نسج في قطعة متقنة من غزل المأساتين ما فاق ريشة الفنان الذي أبدع اللوحة

١ ـ ٣ الأدوات..

ولا يجوز لمن يبسط لقصيدة تخطي أدوات الشاعر التي نقلت لنا شاعريته وأفكاره، من وصف تفصيلي، وسرد، وحكاية وحبكة، إلى صور واستعارات ورموز، وحوار،

مونولوج داخلي، إلى وزن وقافية وجناس. فالإبداع تناغم ديناميكي بين كل تلك الأدوات، والخامة الأصلية للعمل، كالفكرة في ذهن الشاعر، أو الكلمات البسيطة العادية التي تلخصها.

وشكسبير متمرد ولا يعرف الالتزام، وحتى إذا نظرنا إلى أدواته فهي دوما متجددة، لا تعرف الوتيرة الواحدة، ولا تنتسب إلى الرتابة، وبالتالي فهي بعيدة كل البعد عن إحداث الملل، وهو قادر على إخفاء الواقعي في ثنايا عمله الأدبي، فتنساه ولا تنسى أدبه، وقد يحقق الأسطوري لتراه بعينك، فهو بحق قادر على إمتاعك، لأنه ببساطة يملك زمام الأمر، فيستحوذ على أدواته باقتدار، مما يجعله قادرا على إحداث التأثير الممتع، بالتنوع الكافي.

كما يتضح للقارئ منذ بداية القصيدة في قوله:

١/١ يُغادِر تاركوين[١] فـــي عَجَلَــةٍ بالِغَـــةٍ مِـــن أرديـــا[٢] المُحاصَرَةِ ،

يَحْمِلُه كُلُّ جَنَاحٍ غادِرٍ لِلرَّغْبَةِ الزّائفةِ.

بثورة شَهْوَتِهِ الْمُشتعلةِ مُخَلِّفًا جَيْشَ الرُّومان،

إلَى كُولاتايم[٣] حامِلاً الْكامنَة فيهِ النِّيران.

---

[١] "تاركوين" ابن الملك، وأحد أقارب "كولاتين" زوج " لوكريس"

[٢] ((أرديا)) مدينة تبعد عن العاصمة الإيطالية روما بـ٢٤ ميلا جنوبا.

[٣] ((كولاتايم)) مدينة تبعد عن العاصمة روما بـ١٠ أميال شرقا.

رابضَةً وَراءَ جَمَراتٍ واهِنَةٍ ، تَتَرَقَّبُ الاشْتِعالَ.
لِيُطَوِّقَ بِأَلْسِـــنَـــةِ لَهَـــبٍ تُعَـــانِقُ خصر الْفَـــاتِنَـــةِ،
محْبوبَةِ كُولاتَيْن ، لوكريس الْعَفيفَةِ الْفاضِلَةِ.

١-٣-١ اللغة

أبرز صفة شعرية تميز شعر شكسبير هي الاتساق في تنظيم المعنى داخل بنية القصيدة، يجعلك تقرأ وكأنك تمسك بطرف خيط يقودك إلى طرفه الآخر، اتساق يجمع المتناقضات أحيانا، ويؤلف بين الشرق والغرب أحيانا أخرى، وفي الوقت نفسه يؤكد على التناغم بين المعاني وصولا إلى المعنى المراد دون نشاز أو تشتيت.

فالأجزاء المتعددة المختلفة للنص متفاعلة بطريقة خاصة يمتلكها شكسبير فيحدث الإبداع، تفاعل يعتمد على الاختلاف أكثر من التقارب والتشابه بين مفرداته، وبحق نجده ناجحا في عقد مصالحة بين الأضداد، مصالحة تصب بكل قوة في المعنى الأخير فتجليه، وتربط القارئ بشدة في الخيط الذي سلمه إياه شكسبير من البداية.

إلا أنه يعود فيتلاعب بمهارة فائقة بمترادفات اللفظة الواحدة، بل وبالكلمة الواحدة بعد أن يحمّلها في كل سياق معنى

جديدًا، من ذلك كلمة (will[1]) والتي تعمّد استخدامها لأنـها تشير في المقام الأول إلى الاسم الأول له، والواقع أنه سبق واستخدم الكلمة بكثرة مفرطة في قصائده في معشوقته السّمراء، "الأنشودة" وفي قصيدته الأولى " فينوس وأدونيس "، وهنا في قصيدته التي بين أيدينا " اغتصاب لوكريس" تفنن في اللعب بها بمهارة نادرا ما تتكرر في تصوير حالة تاركوين ... يقول

٢٤٦/٣٦ غَرِقَ في جَدَلٍ وَصِراعٍ،وكَأَنَّ السَّماءَ عَنْهُ تَخَلَّتْ،

بَيْنَ ثَلْجِ الضَّميرِ ونَارِ شَهْوَةٍ استَعَرَتْ،

يَطْرُدُ بِخَيْرِ أفْكارِه،

الْجانَب الشرير لكي يحقق رغبته،

و تَسُبُّ فِي لَحْظَةٍ وتَغْتال،

كل دوافع البراءة، وَ تَتَقَدَّمُ فِي طَرِيقَها وَما تَزال،

ليرى كل قبيحٍ في عينيه، أشرف الأفعال.

وأيضًا عند محاولة اقتحام غرفة لوكريس

[1] كلمة will يمكن أن تشير إلى الاسم الأول لشكسبير " وليام " أو الإرادة، والرّغبة، وأيضا تشير إلى العضو الذكري للرّجل.

٢٧٤/٤٠ إذن فليغرب الخوف الطفولي! وليفنَى الجدل العقيم!

وليبقَ العقل والرصانة للشيوخ !

وقلبي لعينيَّ أبدا لن يلوم،

ويصاحب العقلاء الصمت الجاد والتروي العميق،

ودور الشباب لي، يدحر هؤلاء ويقصيهم عن المسرح

فالرغبة مرشدي، والجمال بغيتي،

فمن يهاب الغرق، حيث هذا الكنز مُطرح؟

والتّصوير الرّائع في

٤١٤/٦٠ أيَّ شيءٍ شاهده ولاحظه بقوة؟

وأي شيءٍ لاحظه، ورغبه بشدة؟

وما شاهده، بعنف شُغِفَ به،

تغذت حتى الإرهاق في شهوته عينيه النهمة،

تفوق مجرد الإعجاب حالته،

بعروقها السماوية وبشرتها المرمرية،

وذقنها الأبيض ذي النونة، وشفاها المرجانية.

ولا يمكن أن نتعرض للغة شكسبير وننسى تراكيبه الخاصة، والتي لا نجد لها في قواميس اللغة مكان، من ذلك: His all و وتعني نيران شهوته المتقدة، lust – breathed – too – timeless speed ويعني في عجلة غير مناسبة، new – و وتعني مباركة ملعونة، cursed – blessedو waxen وتعني شاحبة للتو، a bare – boned deathو وتعني هيكل عظمي عاري.

وتنوع استعمال اللغة عند شكسبير ميز شعره عن الكثيرين من أقرانه، فالحروف أصوات، والساحر شكسبير يجيد اللعب بالأصوات، متناغمة حينا، ومتناقضة حينا آخر،عامية هنا، وهناك فصيحة، تقليدية في سياق ولآخر مستحدثة، ألفاظه مهجورة أو نادرة ودارجة ألفها اللسان أو شائعة، عادية بسيطة، واصطلاحية، مباشرة، ومجازية استعارية، مفردة ومركبة بطريقته الخاصة والتي اصطلح على تسميتها باسمه (تراكيب شكسبيرية)، ناهيك عن الوزن والقافية، وفي قصيدته استطاع أن يؤلف بين تلك الأدوات إلى حد الجناس التام كما يسميه أهل البلاغة ، جناس بين الأصوات وتناقض، وجناس بين الأدوات تصب في المعنى، وفي الأخير في قدرة غير عادية على إحداث المتعة الجمالية لكل قراء شكسبير.

واختلاف الحدث وسياق الانفعال يتبعه منظومة صوتية جديدة تناسبه، وهنا نؤكد على سعة الخبرة الحياتية لهذا الشاعر، والوعي التام بمكان النقطة من الحرف، واتجاه سيرها

المنساب مع تيار الحدوتة في قاع محيط المعنى الذي يبحث عنه ويقدمه لقارئه. كل هذا يتم بتكامل وتناغم وبمقدرة تمنع من السقوط في هوة الألعاب اللغوية، وشكلية مقيتة.

١-٣-٢ الصور

عند شكسبير جزء بنائي، وليس كمالي للبهرجة والزخرفة، وكما قلت أنه ساحر ولكنه لا يجيد الألعاب باللغة، كما الصورة، فهي أداة خلق عنده، وليست لحاء يمكن نزعه وفصله عن أصله، فهي والساق واحد، فإما أن يعبر شكسبير عما يريده بالصورة وإلا فلا، فالعلاقة بينها وبين المعنى الكلي في ذهن شكسبير كل لا يتجزأ.

ولا يخفى تأثير الصور في المعنى بعدد غير محدود من الأساليب غير مباشرة، كما وأنها تعقد مقارنات متنوعة على عصب المعنى وأوتاره، ومن ثم فهي أداة تفسيرية هامة. والكلام عن الصورة يتضمن في ثناياه الحديث عن الاستعارة وكأنها حكاية جديدة بصورة أخرى للمعنى، تبسطه، وتقربه ، وتيسره ليستسيغه القارئ بطعمه الجديد، وبدون الصور والاستعارات لما كان لشعر شكسبير تلك الفخامة والرونق المعهودين، فهي وسائلة ليصف لنا الموقف كما يرى ذهنه طريقة تقديمه المثلى للقارئ.

ولقد صاغ شكسبير قصيدته في شكل سلسة من المجادلات البلاغية، كلّ منها يشكل قطعة متكاملة لمحاورة أو خطبة

رسمية بلاغية. وتدور محاوراته حول متناقضات مألوفة من مثل : العفة مقابل الشهوة، والرّغبة الشّرسة مقابل الضمير، والحبّ مقابل العقل، والنّبالة والخسة، وتبعًا لذلك جاءت الصّور الخيالية مرتبة بالمثل في شكل ثنائيات متناقضة من مثل: الحمامة والبومة، والنهار والظلمة، والطّقس الصّافي والغائم، والأبيض والأحمر.

وعندما جادل تاركوين نفسه حول دوافعه لاغتصاب لوكريس، والموانع التي تستوقفه، كان هناك صراعًا نفسيًا شديدًا داخله، وتناقضًا جليًا، حاولت لوكريس مساعدته بإقناعه بأنّ ما هو مقدم عليه الشّر بعينه. ولوكريس نفسها في تمعنها في الانتحار، أيضا حوار، يكشف عن صراع، ومن هذه الحوارات تتولد مجموعة من الأسئلة الهامة حول: الإخلاص الأسري:

٨٣٤/١٢٠ أكولاتين: إذ كان شرفك يتجسد في شخصي،

فقد سُلب بهجوم قاهر مني،

وأنا كذكر النحل، فقدت عسلي،

وشيئا من العسل المدخر للصيف لم يتبقى لي،

إلا وسُلب ونُهب باغتصاب مؤذٍ،

زحف دبورٌ متجول إلى خليتك الضعيفة ،

و ارتشف كلَّ ما كانت تحتفظ به نحلتك العفيفة.

والأفكار المثالية حول الملكية ونموذج الملك الأخلاقي بالنسبة للآخرين:

٨٨/٦١٠ فعلة يحبك الناس من أجلها فقط خائفين،
والملوك السعداء المهابة والتبجيل بحب صادق يتلقون،
ستكون مجبورا على تحمل جرائم الأشقياء المجرمين،
مثال الجرائم نفسها فيك سيرون،
لو يخيفك هذا، فعن تحقيق شهواتك عليك اجتناب،
فمثل الأمراء كمثل مرآة ومدرسة وكتاب،
حَيْثُ تنظر وتتعلم وتقرأ عيون الشعوب.

ومخاطبة الليل

١١١/٧٧١ آه أيها الليل الكريه الغائم المعتم،
طالما أنك المذنب وراء من لا علاج لها ..جريمتي،
قم بتجميع غيومك لمواجهة الضوء الشرقي،
واعلن الحرب على دوران الزمن المنتظم،
وإذا أجزت وصول الشمس كعادتها لعنان السماء،

فلتغزل قبل أن تصل إلى فراشها..
سحبًا سامةً حول رأسها الذهبية.

ومخاطبة الفرصة والظروف المواتية

١٢٦/٨٧٦ يا إلهي .. أيتها الظروف: عَظُمَ ذَنْبُك!
خيانة الخائن تتحقق في ظلك،
الذئب إلى حيث يتمكن من التهام الحمل تُطْلِقين،
والوقت الأنسب لِلْمُخَطِّط للخطيئة تحددين،
والحق والقانون والعقل تزدرين،
وحيثُ لا يراها أحدٌ في ظُلْمَةِ زِنزانتك،
الخطيئة متربصة بالأرواح الحائمة بجوارها تُمْسِك.

ومخاطبة الزّمن والوقت:

١٣٣/٩٢٥ لحظات النحس لليل القبيح معين،
رسول المكر السريع، وحامل جُل الهموم،
مدمر الشباب، والعبد المخادع للمتع الزائفة،
مراقب الأحزان النذل، جواد الخطيئة، فخ الفضيلة!

أنتِ للجميع القوت، وللكل قاتلة،

ولتسمعيني أيتها اللحظات المؤذية الخادعة!

بموتي أنتِ المذنبة، وأنت بجريمتي المخطئة.

ولعل عين شكسبير كانت على وظيفة أخرى للصور البلاغية، ألا وهي اكتشاف الحقيقة نفسها، على عكس ما يقول النقاد ، من أن الصور والاستعارات تبرز المعنى وتوضحه، فصور شكسبير لا تبسُط المعنى كما اعتاد الناس القول في حديثهم عن الصور، بل هي حاملة للمعنى ، وفي أحيان كثيرة تحمله للقارئ بشكل معقد وليس ببساطة ذاك الزّعم؛ يقول شكسبير واصفًا رغبة تاركوين وشهوته:

٤٣/٧ لَكِنْ فِكْرَةٌ في غَيْرِ وَقْتِها دَفَعَتْـــهُ،

في عَجَلَةٍ غَيْرِ مُناسِبَةٍ، إنْ لَمْ تَكُن واحِدَةٌ مِن هؤلاء:

شَرَفِهِ وعَمَلِهِ وأَصْدِقائهِ ومَكانَتِه.

أَهْمَلَها جَميعًا، وَعامِدًا سرِيعَةً انطلاقتِهِ،

لِإطفاء الَّتي تَستَعِرُ بِداخِلِهِ جَمْرَتِهِ،

أَيَّتُها الرَّغْبَةَ الطَّائشَةَ الزَّائِفَةَ، وَخَزاتُ الضَّميرِ الْبارِدَةُ تُغَلِّفُكِ،

رَبيعُكِ الْمُتَلَهِّفُ لا تَسْكُنُ رياحُهُ، والْهِرَمُ لا يُدْرِكُكِ !

وفي وجه لوكريس ميدان القتال المفترض بين الفضيلة والخجل بحمرته وأسلحته، وبياض الجمال ودروعه؛ يقول:

٥٧/٩ ولَكِنْ الْجَمالَ بِهَذا الْبَياضَ يُطالِبُها،

مِن حَمائِمِ فينوس[١] أُخِذَ، وفي الْمَيْدانِ الجميل تَطْلُبُ حَقَّها،

وَالْفَضيلَةُ تَطْلُبُ مِن الْجَمالِ حُمْرَتَهُ بِدَوْرِها،

مَنَحَتْهُ إِيَّاها مُنْذُ الأَزَلِ لِتَزْيِنَها[٢]،

خُدودِها الْفَضِّيَةِ، وَزَعَمَتْ أَنَّهُ الْواقي دِرْعُها،

وَلَقَنَتْهُم كَيْفَ يكونُ في الْقِتالِ اسْتِخْدامُها،

حينَ يُهاجِمُ الْخَجَلُ، لِيَكُن لِلْحُمْرَةِ عَن البياضِ دِفاعُها.

أي امرأة فاضلة جمالها في لون بشرته الأبيض، وصاحبة البشرة البيضاء عندما تخجل تتورد خدودها، فتحاول الفضيلة كسوة الوجه باللون الأبيض كي تقهر الأحمر الوردي للخجل، فيغضب الجمال، وسرعان ما يطالب الفضيلة باللون الأبيض الذي هو في الأساس ملك له، وبدورها تطالب الفضيلة بحمرة الخجل والتي كانت قد منحتها للجمال كي يزين خدود صاحبتهم

---

[١] ((فينوس)) وهي إله الجمال ، ولها عربة تجرها حمائم بيضاء.
[٢] ((تزينها)) المقصود تزيين وجه لوكريس.

الفضية، مدعية أنّ تلك الحمرة التي منحتها للجمال كانت بمثابة الدّرع الواقي له، وشرحت للخدود كيف تدافع الحمرة عن بياض الجمال عندما يهاجمهم الخجل. فأي معنى هنا تشرحه تلك الصورة؟ ربما أبرزت الصورة شيئا بعيدًا عن ذهن القارئ وحتّى النّقاد، ألا وهو إضفاء جو المعارك على القصيدة، ليرمي بها في النّهاية في أحضان الملاحم، هي ليست كالملاحم بمقاييسها المتعارف عليها، بل المتمرد شكسبير لا يريد لأحد احتكار شيء، ولا يريد لقيود تقيد الأدب بصفة عامة، ولذا فهو يضفي روح الملاحم على قصيدته دون إراقة الدماء، ولكن لا يمكن أن نهمل صوت الأسلحة والصراخ وألوان المعارك في صوره.

ومن الصّور التي تؤكد على سعي شكسبير لإضفاء جو الملاحم الشّعرية على القصيدة، تصويره للوكريس على أنها مدينة تحت الحصار العسكري؛ يقول شكسبير:

٦٧/٤٦٣ على صدرها جاثمة يده ومازالت،

ككبشٍ قبيح، أرادت هدمَ سورها العاجي!

ربما يتحسس قلبها، مسكين هذا المخلوق!

في محنته ينزف حتى الموت في صعودٍ وهبوط،

يزلزل صدرها، فتهتز يداه معه،

فتُحرّك فيه غضبا أكثر وثورة، وأقل شفقة،

يهاجم ليخترق حصون مدينتها الحلوة.

ونجده عند موت لوكريس، يصورها على أنها جزيرة أغتصبت لتوها، وتحاط بأنهار من دمائها:

١٧٣٧/٢٤٩ تتدفق الدماء فقاعات من صدرها ،
بطيئة إلى نهرين انقسمت، والقرمزي دمها،
من كل صوب يحيط بجسدها،
وتقف كجزيرة منبوذة نُهِبَت لتوها،
عارية مهجورة في هذا المريع بحرها،
طاهرا أحمر ولا يزال بعض من دمائها،
وأسود لطخه تاركوين الزائف بدا بعضها.

ويصور لوكريس في موضع آخر على أنها منزل تم سلبه ونهبه:

١١٧٠/١٦٨ منزل روحي سُرق، ونُغِصَتْ هدأته،
مدافع العدو دكته،
نهبتْ وخَرَّبتْ معبدها المقدس ودنسته،
بخزي كبير، بهول طَوَّقته،

إذن.. "ضعف إيمان " عليها لا تُطلَق،

إذا ما فتحةً في هذا الحصن المدنس تُخْرِق،

من خلالها روحي المعذبة تَنْطَلِق.

ولو علمنا أن الألوان هي أداة الرسام الوحيدة لخلق لوحة تبهر الناظرين إليها، فالصور بمثابة تلك الألوان في يد شكسبير ، أداة للخلق والتكوين والبناء، وهنا أيضا يمكن أن نؤكد على أن كل صورة يضيفها شكسبير إنما يضيف لتفاصيل قصيدته تفاصيل أدق وأدق، وهذا ردا آخر على زعم الاستطراد السالف.

المفاجأة تأتيك مع النقلة من حدث لواقعة عن طريق الصورة، والتي تستفز خيالك للانحراف عن طريقه إلى مسالك أخرى، إن لم تنسيك عالمك الواقعي، ستخدرك لترفضه، ناهيك عن متعة بالغة تمازحك، وتداعبك بما يجعلك تسمح لها بأخذك بين ثنايا عالم الخيال الذي نظمت حدوده صور شكسبير مرات، فتعاود قراءة القصيدة مرات عديدة، وعندئذ بالتحديد ستعلم أنه ليس الموضوع وحده الذي يجذبك لمعاودة القراءة، بل واللغة والصور والموسيقا، إنه عالم شكسبيري صاغته عبقريته من مفردات متاحة لكل البشر، لكنها تتميز بنظم وخلط وخلق وتكوين شكسبير الشاعر الكبير.

١ ـ ٤ الشخصيات

لا يمكن أن نصف أو نبسط صورة عمل إلا ونعطف على شخصياته، الرئيسة منهم؛ **لوكريس**، الزوجة المثالية الموقرة في بيتها، بين أفراد عائلتها، تزوجت لتحقق حلمها الكبير، الأسرة العظيمة، وكانت تفعل في سبيل هذا كل ما كتبته الأقلام، برضا وجد وسعي دءوب، زوجة ذات جمال، منحه الله لها، واصطفاها بجزء منه، واصطفى زوجها **كولاتين** به، ينعم به وحدة، ولكن على الرغم من أنه في بيت نعم الزوج الحبيب، وفي ميدان القتال نعم المقاتل، مغوار، شجاع، نجاح في البيت وخارجه، إلا أن زلة لسانه أنهت حياته الناعمة، حين وصف زوجته، خطأ لا يقع فيه إلا قليلو الخبرة، أو من تملكه السذاجة، و المنحرف خلقيا أيضا، يصفها أمام **تاركوين**، ولي العهد ، الذي ما لبث أن استدعى صفات النبالة والكبرياء في مقارنة سريعة بينه وبين كولاتين ، حين شاهد صدق وصفه لزوجته، ورأى بالأحق جمالها، فسفك دمها بتعديه على حق أخيه في بيته.

ولو نوقشت شخصيتا المأساة الرئيستان من وجه نظر **المنطق الطبيعي**، أو Natural logic لوجدنا لوكريس مِلكًا خاصًا لزوجها، هكذا ترى نفسها، ويتبع ذلك عفتها وطهارتها، وكونها فاقدة الحرية، فهي لن تصبح امرأة ناضجة، قادرة على إصدار أحكام صحيحة، حتى حول الخالق، أو الملك. ولو ذهبنا إلى تاركوين، فكونه أمير، وولي العهد الذي يوشك أن يصير الملك المقدس، لديه الرّغبة في إخضاع زوجته لاختبار الملكية المطلقة، قد تمّ إغوائه بشخصية لوكريس المثالية العفيفة،

بافتخار زوجها كولاتين المفرط بها. ولأن كلّ من لوكريس وتاركوين كان على خلاف واضح مع المنطق الطّبيعي، فإنّ المعاناة هي النتيجة الطّبيعية لجهلهما، ويؤكد ذلك عدم شعور تاركوين بالمتعة المترتبة على فعلته، وطلبه لصفح وعفو لوكريس:

٧١٥/١٠٣ السيد الروماني المذنب كان على هذا الحال،
والذي سعى برغبة جامحة لتحقيق هذه الفعلة،
الآن ضد نفسه يصدر حكما،
على مر العصور بالعار موصوما،
ناهيك عن تدنيس معبد روحه الجميل،
واحتشدت الهموم حول طلله الهزيل،
لتسأل الأميرة الموصومة بالخزي عن حالها.

أما لوكريس، فأول ما نطقت به من كلمات بعد صدمة الاغتصاب تدل على اللامنطقية في فهمها للحياة قبل هذه التجربة الأليمة، فذل الاستعباد لزوجها حجب ناظريها عن واقع الحياة الحقيقي، وذلك لفرط مثاليتها، لذا يزعم النّاقد "**روبرت لويس**" أنه وجب على شكسبير أن يغتصبها بصورة تعبيرية في القصيدة، حتى يدمّر هذا الإحساس الكاذب بالخلود. كما أكد النّاقد " **جون دارنس** " على أن إخلاص لوكريس

وطاعتها العمياء وانقيادها لزوجها دون تفكير، قد أدى إلى تدميرها، فهي تجهل منطق الحقيقة والجمال كما صوره شكسبير ببلاغة في مكان آخر من إبداعاته الشّعرية" السّونيتات".

وأعتقد أن عبقرية شكسبير النّادرة هي التي جعلت باحث مثل " **وليام هازلت** " يرى أن شكسبير عند نظمه لقصيدة " اغتصاب لوكريس" قد جار على شخصياته، بصرف جُلّ اهتمامه نحو نظم الشّعر، وليس الموضوع، أو ما يشعر به شخوص القصة الرئيسة، بل يرى أنه كان يعمد إلى وضع ما يفكر فيه وكلّ ما من شأنه إظهار عبقريته الشّعرية على ألسنة شخصيات القصة.

بل ويعتقد " **هازلت** " كذلك أنّ شكسبير أراد بهذا استعراض مهاراته المميزة في النّظم والبلاغة، حتّى أنّ الأفكار ضاعت في القصيدة لكثرة تعليقات الشّاعر اللانهائية عليها. وفي النّهاية استنكر على شكسبير الإضافة الرائعة الفذة التي استحدثها في قصيدته، ووصفها بالمحاولة الغريبة، وذلك حين أحل لغة الرّسم محل لغة الشّعر، حتى -كما علق- يجعلنا نشاهد مشاعر الشّخصيات متجسدة في وجوههم. وهذا الكلام يؤخذ بعين الاعتبار حين نرى صور الشخصيات الرئيسة في القصيدة مشوهة، وطالما زادت مهارات الشّاعر اللّغوية والتّصويرية الفذة في رسم شخصياته بدقة أكبر، أعتقد أننا لا يمكن أن نقول لشكسبير قلل من عظمة لغتك وصورك حتى تظهر شخصياتك، فشخصياته بالفعل تتنفس لغته، وتزينها صوره، وتلألئها بلاغته.

السؤال التقليدي جدا لدي الآن، أي الشخصيات لعب دور الشيطان؟ فإذا قلنا أن شكسبير لم يتعرض للشيطان في قصيدته، ولكننا وعينا ضمنا دوره في دفع تاركوين، وتأجيج شهوته، لينسى كل ما يملأ نفسه من وقار وعفة، ويهزم الخير المستحوذ على نفسه، أقول: هذا توجه مقبول، وماذا عمن قدمها له، فاتنة الجمال، اختصها الله بما لم يدع في غيرها من النساء؟ الشيطان في القصيدة هو ذاك الزوج المسكين، المحرض على الفتك بزوجته، حين وصفها فكفى، ومدحها فوفى.

وإن كان منكم اعتراض، فيكفي كولاتين ذنبا لو نظرنا إلى فعله من وجهة نظر لوكريس، فأي زوجة تمتلك ما تمتلكه لوكريس الفاضلة العفيفة، وتفعل ما تفعله لأسرتها ولزوجها بصفة خاصة، لا تفعل إلا لأن هذا كله يصب في حلمها الذي تخطط له، وتتمنى لو تحققه، وتحيا من أجله، فأي شيطان باغ جهول، يقطع عن هذا الحلم خطوط إمداده، فينهيه في لحظة؟ أي شيطان حتى لو كان زوجي، يقضي على حلمي؟ ماذا جنت يداي، وما ذنبي حتى يحرمني زوجي حياتي، ويبتر حلمي؟ أين العدل بين البشر، إذا ما فعلتُ أنا له كل واجب طُلبَ مني، ولم يُطلب، ويأتي الذي من المفترض أنه شريكي في الحلم، عوني على تحقيقه فينحره؟ أتراه من البشر، أم أنه إلى عالم الشياطين أقرب؟ إنه الشيطان بعينه.

وأخيرا نلفت انتباه القارئ الكريم إلى أننا أضفنا شيئا لم يكن موجودا في الأصل الإنجليزي، فقد اخترنا لكلّ جزء اسمًا رأيناه مناسبا له, وذلك تسهيلا على القارئ في فهم القصيدة.

الإهداء

إلى الموقر هنري رويت سلاي إريل سوثماوتن وبارون تتشفيلد،،

إنَّ إعجابي وحبي اللذين أكرسهما لك، بلا حدود، ومن ثمَّ فإن هذا الكتيب مقطوع البداية، ما هو إلا مجرد جزء فائض من هذا الحب. وإنني لعلى ثقة من أنَّ طبيعتكم الموقرة، وليست سطوري غير المصقولة، ستجعله محل قبول وإعجاب لديكم. وإن ما قمتُ به، فمن أجلك، وما يجب أن أقوم به هو لك، ولكونك جزء من كل شيء أفعله، فإنني أكرس نفسي كلها لك.

وإذا كانت مكانتي وقيمتي أكبر، فيجب عليّ إظهار فروض الولاء والطاعة نحوكم، بصورة أعظم، ولذا فإنني على هذا أدين بكل شيء لسيادتكم. وأتمنى لكم طول العمر، وحياة مديدة حافلة دوما بالسعادة.

الخادم المطيع لسيادتكم

وليـــام شكسبيـــر

ملخص

أطلق على (لوسيوس تاركونيوس) سوبربس المتكبر، نظرا لكبريائه المفرط، وبعد أن كان وراء مقتل والد زوجته، (سيرفيس توليس) ببشاعة وقسوة، واستولى على مقاليد المملكة، مخالفا بذلك القوانين والعادات الرومانية، ولم ينتظر أو يطلب موافقة الشعب.

ذهب بصحبة أبنائه ونبلاء آخرين من روما لحصار مدينة (أرديا) ، وخلال هذا الحصار، وفي إحدى الليالي، حين اجتمع قادة الجيش الكبار في خيمة (سكتس تاركونيوس) ابن الملك، ومن خلال أحاديثهم بعد تناول طعام العشاء، ذهب كل شخص في كيل المديح في فضائل زوجته، وانطلق (كولاتانيوس) من بينهم مثنيا على عفة زوجته (لوكريشيا) والتي لا نظير لها بإفراط.

وأسرع الجميع إلى روما، تغمرهم سعادة ذهنية دافقة، الكل ينوي من خلال وصولهم المفاجئ والسري، أن يتيقن مما أقسم وأكد عليه كل شخص.

ومن بينهم كان (كولاتانيوس) الوحيد الذي وجد زوجته تغزل مع وصيفاتها، رغم أن الوقت كان متأخرا. أما بقية السيدات فكن يرقصن ويعربدن بصنوف اللهو المختلفة.

وحينئذ رفع النبلاء راية الاستسلام، واعترفوا بالنصر لكولاتانيوس، وذيعَ صيت زوجته المصونة.

وهنا أشعل جمال (لوكريس) النيران في قلب (سكتس تاركانيوس) ورغم هذا يحاول كتمان عواطفه المتقدة في الوقت الحالي، وأقفل عائدا مع الآخرين إلى المخيم، ومن هناك وبعد فترة وجيزة، انصرف خلسة.

ولمكانته الرفيعة، أستقبل استقبالا الملوك من قبل (لوكريس)، ودعي لقضاء ليلته في (كولاتايم) . وفي نفس الليلة تسلل خلسة وغدر إلى غرفتها، واغتصبها بشراسة، وغادر في عجلة في الصباح الباكر.

في حالة بائسة، يرثى لها، أرسلت (لوكريس) رسلا،؛ أحدهم لوالدها في روما، الآخرون إلى مخيم زوجها (كولاتاين).

حضر كلاهما، الأول بصحبة (جونيوس بروتس) والآخر بصحبة (ببليس فالريس) ووجدوا (لوكريس) في ثوب الحداد، فطلبوا منها توضيح سبب حزنها. وطلبت منهم في البداية وعدا وقسما بالثأر. ثم كشفت عن هوية الفاعل، ومجمل سلوكه، وفجأة طعنت نفسها.

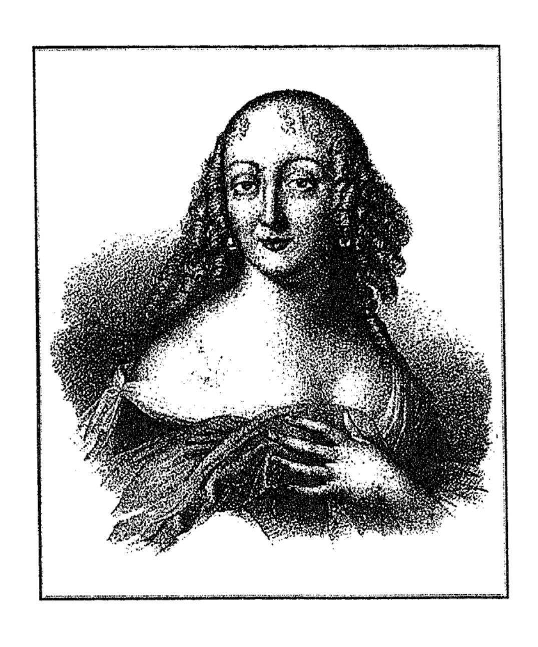
بعد هذا أقسم الجميع ، وأجمعوا على استئصال أسرة (تاركونيوس) الكريهة من جذورها، وقاموا بحمل جثمان (لوكريس) إلى روما، وأخبر (بروتس) الناس بالفاعل، وفعلته الشنيعة.

ورغبة في الثأر، وبحقد مرير ضد طغيان الملك، ثار الشعب كله، وبموافقة وإجماع قاموا بنفي كل أفراد عائلة

(تاركونيوس) وتحولت حكومة الدولة من حكم الملوك إلى حكم القناصل.

الجزء الأول

" في مديح البياض والحُمرة "



١/١ يُغادِر تاركوين[١] فـي عَجَلَـةٍ بالِغَـةٍ مِـن أرديـا[٢] المُحاصَرَةِ ،

يَحْمِلُه كُلُّ جَناحٍ غادِرٍ لِلرَّغْبَةِ الزَّائفةِ.

بثورة شَهْوَتِهِ المُشتعلةِ مُخَلِّفًا جَيْشَ الرُّومان،

إلَى كُولاتايم[٣] حامِلاً الْكامنَة فيهِ النِّيران.

رابضَةً وَراءَ جَمَراتٍ واهِنَةٍ ، تَتَرَقَّبُ الاشْتِعالَ.

لِيُطَوِّقَ بِأَلْسِنَـةِ لَهَـبٍ تُعـانِقُ خصر الْفـاتِنَـةِ،

محْبوبَةِ كُولاتَيْن ، لوكريس الْعَفيفَةِ الْفاضِلَةِ.

٨/٢ " عَفيفَةٌ " هذه الصفةُ ذاتها، ربمـا هَيَّـأَتْ لِسوء الطالع..

نَصْلَ تلك الرَّغْبَةِ الْعارمةِ الْفاتِر،

حينَ لَمْ يَردعْ كُولاتَيْن الأَحْمَق رادع،

عَنْ مَديحِ الْبَيـاضِ وصفاءِ الْحُمْرَةِ النَّادِر،

في سَمـاءٍ[٤] بَهْجَـتِهِ مُنْتَصِرَتانِ ،

---

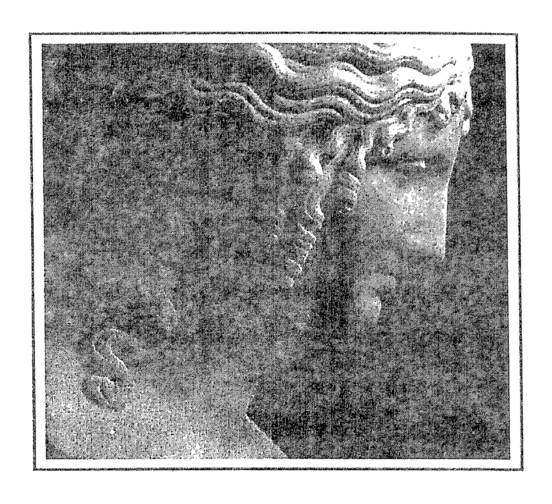
[١] "تاركوين" ابن الملك، وأحد أقارب "كولاتين" زوج " لوكريس"

[٢] ((أرديا)) مدينة تبعد عن العاصمة الإيطالية روما بـ٢٤ ميلا جنوبا.

[٣] ((كولاتايم)) مدينة تبعد عن العاصمة روما بـ١٠ أميال شرقا.

[٤] ((سماء)) يقصد بها وجه لوكريس.

وكَجَمـــال السَّماءِ نُجومُها الْفانِيَةُ[1] بَرَّاقَتان،



بِطَهارةِ طَلْعَتْها تَخُصُّهُ دونَ إنْسان.

١٥/٣ فَفي اللَّيْلَةِ السابِقَةِ عِنْدَ تاركوين في خَيْمَتِهِ،

[1] ((الفانية)) يقصد بها عيني لوكريس، وقال في وصفها بعدها ((براقتان))

كَشَفَ عَنْ كَنْزِ الْغَامِرَةِ سَعادَتِهِ.
وَأي ثَرْوَةٍ نفيسة السَّـماءُ مَنَحَتْهُ،
بِامْتِلاكِ كُلِّ هَذا السِّحر والْجَمالِ زَوْجَتِهِ،
وَسَهْمَ حُظوظِهِ بِفخر سما بمكانته،
قَدْ يَتَزَوَّجُ الْمُلوكُ بِنِساءٍ يَفُقْنَ شُهْرَةَ محبوبَتِهِ،
وَمِثْلُ السَّيِّدَةِ الْفَرِيدَةِ لا مَلِكًا أَوْ نَظيرَهُ تَكونُ بِحَوْزَتِهِ.
٢٢/٤ يا ربِّ .. لا يَحْظَى بِالسَّعادَةِ مِنَ النَّاسِ إلا القَليلُ!
وحينَ الْفَوْزِ بِها، سَرْعانَ ما تَذْبُلُ وتَنْتَهي وتَزولُ.
كَذوَبانِ نَدَى الصَّباحِ الْفِضِّي،
أمامَ بَهاءِ الشَّمْسِ الذَّهَبِيَّةِ!
كَجُزْءٍ مِنَ الزَّمَنِ يَمْضَى، وقَبْلَ أنْ يَبْدَأَ ينْتَهي.
والشَّرَفُ والْجَمالُ بَيْنَ ذِراعِ مالِكِها،
في مُواجَهَةِ عالَمٍ شِريرٍ، ضَعيفَةٌ لِلْغايَةِ حُصونُها.
٢٩/٥ وَحْدُهُ ساحِرٌ جذَّابٌ .. الْجَمالُ،
مِنْ غَيْرِ خطيب لِعُيونِ الرِّجالِ،
وَأي مديحٍ تُريدُ،

لِلْكَشْفِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ نَوْعِهِ فَرِيدٍ؟
لأَي شيءٍ كولاتين أظْهَرَ
وهو مالكها أنفسَ الدُّرَرِ،
وعَنِ الآذانِ المُتَرَبِّصَةِ لابد يَستُر؟
٣٦/٦ رُبَّما وهو بِسُمُوٍّ لوكْريس يفخَر،
أغْوَى اِبْنَ الملكِ الْمُتَكَبِّر،
فما تَسْمَعُهُ الآذانُ لِلْقُلوبَ بِلاء،
أوْ ربما حَسَدًا لامتِلاكِ أغْلَى الأَشْياءِ،
الأروع في أي مُقارَنَةٍ، وَخَزَ بازْدِراءٍ
أفْكارَ تاركوين السَّامِيَةَ؛ أَنْ يَتَباهَى الْبُسَطاءُ،
بِالْحُظوظِ الذَّهَبِيَّةِ، وَأسيادُهُم لها فُقَراءُ.
٤٣/٧ لَكِنْ فِكْرَةً في غَيْرِ وَقْتِها دَفَعَتْــــهُ،
في عَجَلَةٍ غَيْرِ مُناسِبَةٍ، إنْ لَمْ تَكُن واحِدَةٌ مِن هؤلاء:
شَرَفِهِ وعَمَلِهِ وأصدِقائه ومَكانَتِه.
أهمَلَها جَميعًا، وَعامِدًا سريعَةً انطلاقَتِهِ،
لإطفاء الَّتي تَستَعِرُ بِداخِلِه جَمْرَتِهِ،

أَيَّتُها الرَّغْبَةَ الطَّائِشَةَ الزَّائِفَةَ، وَخَزاتُ الضَّميرِ الْبارِدَةُ تُغَلِّفُكِ،

رَبيعُكِ الْمُتَلَهِّفُ لا تَسْكُنُ رِياحُهُ، والْهَرَمُ لا يُدْرِكُكِ !

٨/ ٥٠ إِلَى كُولاتايم حين وَصَلَ السَّيِّدُ الْمُخادِع،

أَكْثَرَتْ السَّيِّدَةُ الرُّومانِيَّةُ مِن تَرْحيبِها،

وَعَلَى وَجْهِها الْجَمالُ والْفَضيلَةُ في تَصارُع،

أَيُّهُما سَيُصْبِحُ أَساسًا لِشُهْرَتِها وصيتِها.

فَحينَ تَتَفاخَرُ الْفَضيلَةُ، خَجَلاً الْجَمالُ يَتَوَرَّد،

وَحينَ يَتَفاخَرُ الْجَمالُ بِالْوَجْنَتَيْن تَوَرُّدِها،

الْفَضيلَةُ كِسْوَتِهُما بِالْبَياضِ الْفِضِّي تَتَعَمَّد.

٩/ ٥٧ ولَكِنْ الْجَمالَ بِهَذا الْبَياضَ يُطالِبُها،

مِن حَمائِمِ فينوس[1] أَخِذَ، وفي الْمَيْدانِ الجميل تَطْلُبُ حَقَّها،

وَالْفَضيلَةُ تَطْلُبُ مِن الْجَمالِ حُمْرَتَهُ بِدَوْرِها،

مَنَحَتْهُ إِيَّاها مُنْذُ الأَزَلِ لِتَزْيِنَها[2]،

---

[1] ((فينوس)) وهي إله الجمال ، ولها عربة تجرها حمائم بيضاء.

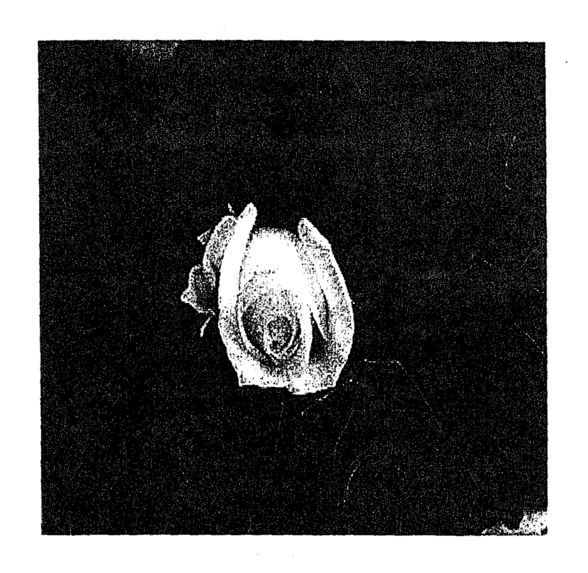
[2] ((تزينها)) المقصود تزيين وجه لوكريس.

خُدودِها الْفَضِّــيَةِ، وزَعَمَتْ أَنَّهُ الْواقي دِرْعُها،
ولَقَنَتْهُم كَيْفَ يَكونُ في الْقِتالِ اسْتِخْدامُها،
حينَ يُهاجِمُ الْخَجَلُ، لِيَكُن لِلْحُمْرَةِ عَن البياضِ دِفاعُها.

١٠/٦٤ ظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِ لوكريس هَذِهِ النَّبالَةُ،
جَلِيَّةً في النِّزاعِ بَيْنَ حُمْرَةِ الْجَمالِ وَبَياضِ الْفَضيلَةِ،
وَعَلَى أي لَوْنٍ مِنْهُما كانَتْ الْمَلِكَةُ.
عَلَى حَقِّهِم الْقَديمِ مِنَ الأَزَلِ يُدَلِّلان
وَطُموحُهُم جَعَلَهُم في الْقِتالِ مُسْتَمِرَّان،
سَطْوَتُهُما كَبيرتان،
ومكانَهُما غالبًا ما يَتَبادَلان.

١١/٧١ حَرْبٌ صامِتَةٌ لِلْوُرودِ الْبَيْضاءِ والْحَمْراءِ،
شاهَدَها تاركوين في مَيْدانِ وَجْهِ الْحَسْناءِ،
فَأَحاطَتْ بِعُيونِهِ الْخائِنَةِ صُفوفُها الْعَذْراءُ،
وَخَشْيَةَ الانْهيارِ وَالْهلاكِ بَيْنَهُما
اسْتَسْلَمَ الأَسيرُ الْمُنْكَسِرُ كَالْجُبَناءِ،
لِلْجَيْشَيْنِ اللَّذَيْنِ لَمْ يَسْمَحا لَهُ بِالْبَقاءِ،

أَفْضَلُ مِنَ الانْتِصارِ على الزّائِفِ مِنَ الأَعْداء.



١٢/٧٨ الآنَ يَرَى أَنَّ لِسانَ زَوْجِها غَيْرَ الْفَصيحِ،
عَجَزَ رَغْمَ إِفاضَتِهِ عَنْ كَفافِها بِالْمَديحِ،
وَفي هَذِهِ الْمَهِمَّةِ السّامِيَةِ كانَ لِجَمالِها تَجْريح،

فَهُوَ يَتَجاوَزُ بِكَثيرٍ عُقْمَ مَهاراتِهِ في التَّصْريح،
فَالْمَدْحُ الَّذي يَدينُ "كولاتين" يُتيح،
لتاركوين الْمَسْحورِ بِخَيالِهِ أَنْ يَتَأَمَّلَ ويَسيح،
بِعُيونٍ ساكِنَةٍ مُحَدِّقَةٍ في دَهْشَةٍ دونَ تَلْميح.

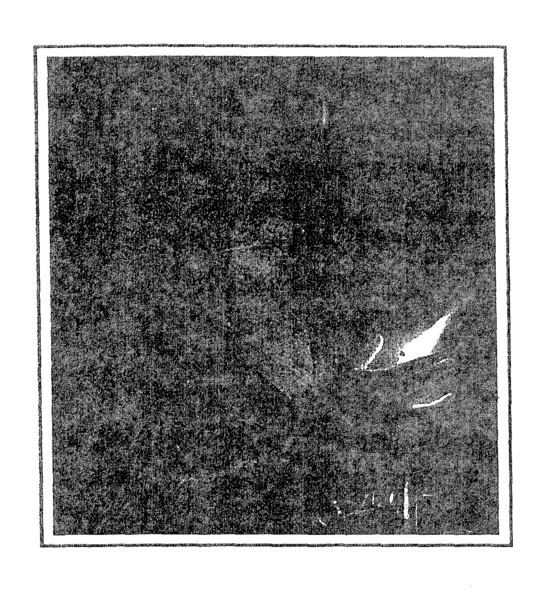
١٣/٨٥ هَذِهِ الْقِدِّيسَةُ الْبَشَرِيَّةُ مَعْبودَةُ هَذا الشَّيْطان،
في هَذا الْعابِدِ الزَّائِفِ، الشَّكُّ ونَفْسَها لا يَلْتَقِيان،
وذاتُ الأفْكارِ البريئَةِ وفِكرُ الشَّرِّ نادِرًا ما يجتمعان،
وطُيورٌ لَمْ تَقَعْ في فَخٍّ قَطْ، لا تَخْشَى ما خَفِيَ مِن الأَغْصان،
بِهَذِهِ الْبَراءة ، ودونَ ارْتِيابٍ، رَحَّبَتْ بِهِ بِعِرْفان،
تَرْحيبُها مُوَقَّرًا لائِقًا بِضَيْفِها الأميرِ كان،
تَمْلَؤُهُ الشُّرورُ، ولا سوءٌ في تَعْبيراتِهِ بان.

١٤/٩٢ أَخْفَى نَواياهُ الشِّرِيرَةَ في رَفيعِ مَكانَتِه،
وبَدَهاءٍ حَجَبَ في جَلالِ مَنْصِبِهِ خَسيسَ خَطيئَتِهِ،
حَتى بَدا كُلُّ شيءٍ فيهِ مقبولاً وَعلَى طَبيعتِهِ،
ولَكن أَحْيانًا كانَتْ تَظْهَرُ في عَيْنَيْهِ كَبيرُ دَهْشَتِهِ،

والَّتي لَمْ تَشْبَعْ عَلَى الرَّغمِ مِن كُلِّ ما مَلَكَتْه،
فَهوَ يَشْعُرُ بِالْفَقْرِ رَغْمَ الْغِنَى، وبِالْحاجَةِ رَغْمَ ثَرْوَتِه،
ولا يَزالُ يَطوقُ لِلْمَزيدِ وَالْمَزيدِ عَلَى تُخْمَتِه.
١٥/٩٩ غَيْرَ مُعْتادَةٍ عَلَى نَظَراتِ الْغُرَباءِ كانَت،
عَنْ الْتِقاطِ أيِّ مَعْنىً مِنْ تِلْكَ النَّظَراتِ الْمُعَبِّرَةِ عَجَزَت،
ولا ما تَحْويهِ مِنْ أَسْرارٍ ماكِرَةٍ واضِحَةٍ قَرَأَت،
في الْهَوامِشِ [١] الزُّجاجيَّةِ لِهَذِهِ الْكُتُبِ كُتِبَت،
لَمْ تَلْحَظْ أيَّ طُعْمٍ غَريب، ولا مِنْ أيِّ مَصْيَدَةٍ خَشِيَت،
وَعَنْ تَفْسيرِ نَظَراتِ الشَّبَقِ فشلت،
أَكْثَرُ مِنْ أَنَّ عَيْنَيْهِ عَلَى ضَوْءٍ مُباشِرٍ فُتِحَتْ،
١٦/١٠٦ وَبَدَأَ يَقُصُّ مَفاخِرَ زَوْجِها ذائِعِ الصِّيتِ عَلَى مَسامِعِها،
انْتِصاراتهِ في مَيادينِ إيْطالْيا بِزَهْوِهَا،
وَيَمْتَدِحُ بِفَخْرٍ كولاتين السَّامي اسْمَه
باسْتِبْسالِهُ الرُّجولي كان مَجَّدَه،

[١] إشارة إلى عادة طباعة تعليقات وشروح إيضاحية في هوامش الكتب في ذلك الوقت.وهنا يصور عيون تاركوين الشبقة بكتاب له هوامش وشروح.

بأكاليلِ النَّصرِ، ودرعه الْمُحَطَّمَة،
وكانَتْ بيَدٍ مَرْفوعَةٍ تُعَبِّرُ عَنْ فَرْحَتِها،
وَدونَ التَّفَوهِ بكَلِمَةٍ تُوَجهُ للسَّماءِ على نجاحه شُكْرَها.
١٧/١١٣ وبَعيدًا عَنْ السَّبَبِ الْحَقيقي وَراءَ مَجيئهِ،
حاولَ أَنْ يَخْتَلِقَ الْمَعاذيرَ لوُجودِهِ،
ولَمْ يَبْدو عَلَى سَماءِ الصَّافي الْجَميلِ وَجْهِه،
أَيُ طَقْسٍ سَيِّئ بعَواصِفِه،
حتَى جاءَ اللَّيْلُ الْبَهيمُ ربُّ الْفَزَعِ وَالرَّهْبَةِ،
وأَلْقَى عَلَى الْعالَمِ عَباءَتَه بالْعَتْمَة ،
وأَلْقَى بِالنَّهارِ في قَبْوِ سِجْنِه.



١٨/١٢٠ وعِنْدَ هذا خَلَدَ تاركوين إلَى مَخْدَعِه،
بالإرْهاق وَالتَّعَبِ كانَ تَظاهُرُه،
لأَنَّهُ بَعْدَ الْعَشاءِ أطالَ حَديثَه،
مَعَ لوكريس الْفاضِلَةِ لِساعَةٍ مُتَأَخِّرَة،

والآنَ يَحتَدِمُ الصِّراعُ بَيْنَ النُّعاسِ الْمُتَثاقِلِ والْحَيَويَّةِ النَّشِطَة،

وكُلُّ شَخْصٍ استَسْلَمَ إِلَى الرَّاحَةِ بِنَفْسِهِ،

عدا السَّارِقُ والْمَهْمومُ ومَشْغولٌ عَقْلِه.

١٩/١٢٧ وكانَ تاركوين مِنْ بَيْنِهِم ظَلَّ في فِراشِه مُتَقَلِّبًا،

في المَخاطِرِ الْمُحيطَةِ بِتَحْقيقِ نَواياهُ مُفَكِّرًا،

بَيْدَ أَنَّهُ لا يَزال عَلَى تَحْقيقِ رَغْبَتِهِ مُصِرًا،

والآمالُ الضَّعيفَةُ تُحاوِلُ إِقْناعَهُ بالامْتِناعِ يائِسَةً،

فَالْيَأْسُ رَغْمَ ضَعْفِهِ، يُغامِرُ لِنَيْلِ مآرِبِهِ أَحْيانًا،

وَحينَ تَكونُ الْمُكافَأَةُ كَنْزًا كَبيرًا،

لا أَحَدَ يُفَكِّرُ في الْمَوْتِ وَإِنْ كانَ لَهُ مُلاصِقًا.

٢٠/١٣٤ والطامحون دومًا بجنون للمغانم يَشْتَهون،

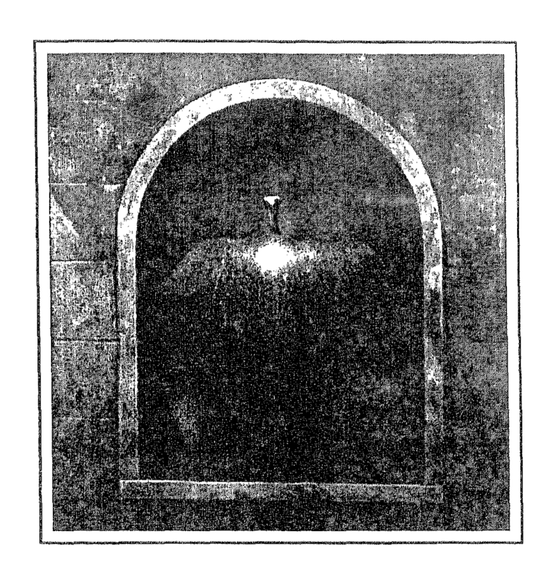
حتى أن ما لديهم، هذا الذي يمتلكون،

يُبَدِّدونَه وَملكيته يَفْقِدون،

وَما لَدَيْهِم قَليل، رغم أنهم طْموَحون،

وَميزة الإفراط الغامر في ازدياد حينَ بِكَثْرَةٍ يَغْتَمون،

وبسببه مزيدًا من المتاعب يتحملون،
أغْنِياءَ وفُقَراءً في آنٍ بِالْمَغانِمِ الَّتي تجعلهم مُفْلِسون.



٢١/١٤١ يَتَطَلَّعُ إِلَى إِمْدادِ الْحَياة،

فِي الشَّيْخوخَةِ بِالشَّرَفِ وَ الثَّرْوَةِ وَالرَّاحَةِ،
سَتَجِدُ مُرَّ الصِّراعِ فِي تِلْكَ الْغايَةِ،
ونُخاطر بِواحِدَةٍ مِنْ أَجْلِ الْجَميعِ، أو بِالْكُلِّ لِواحِدة،
كَالْحَياةِ مِنْ أَجْلِ الْكَرامَةِ فِي غَمامِ مَعْرَكَةٍ شَرِسَةٍ،
وَالشَّرَفِ لِلْغِنَى. وكَثيرًا ما تُكَلِّفُكَ الثَّرْوَةُ،
مَوْتَ الْجَميعِ، وَيُكْتَبُ عَلَى الْكُلِّ الْخُسارَةُ.

٢٢/١٤٨ فَحينَ نُقامِرُ بِفِعْلِ السُّوءِ، لا نَكونُ أَنْفُسَنا،
لأَنَّنا نَسْتَبْدِلُها بِما نَتَمَنَّى،
جُنوحٌ رَهيبٌ، الطموح.. تِلْكَ النَّقيصَةُ الْحَمْقاءُ،
عَلَى كَثْرَةِ ما لَدَيْنا، يُعَذِّبُنا شُعورُ التَّقْصيرِ وعدمِ الاكْتِفاءِ،
بِما نَمْلُكُ، حَتَى نُهْمِلَ ما بَيْنَ أَيْدينا،
لأَنَّ الإِدْراكَ السَّليمَ يَنْقُصُنا،
فَنَجْعَلُ الأَشْياءَ لا شَيْءَ، إِذا تنميتها حاوَلْنا.

٢٣/١٥٥ بِالْمُخاطَرَةِ ذاتِها يَنْطَلِقُ تاركوين بِلَهْفَةٍ،
راهِنًا مِنْ أَجْلِ إِشباعِ شَهْوَتِهِ شَرَفَه،

ولِيَتَخَلَّى عَنْ صَلاحِ نَفْسِهِ لِيُرْضي شَبَقَها،
فَأَيْنَ الْحقيقَةُ، والنَّفسُ فَقَدَتْ تَصالُحَها؟
وفي الْعُثورِ عَلَى آخَرٍ عادِلٍ، مَتَى سَيُفَكِّرُ،
حينَ نَفْسَهُ بِنَفْسِه يَخونُ ويخجِّل،
فَتَتَخَطَّفُهُ أَلْسِنَةُ السُّوءِ وزمان بؤسٍ محقِّر ؟
٢٤/١٦٢ اللَّيْلُ أَرْخَى سِتْرَهُ و الْمُميت سُكونَه،
وَالنَّوْمُ أَغْلَقَ بِثِقَلِهِ الفانِيَةَ عُيونَه،
فَلا نَجْمٌ بَهيجٌ ضَوْءَهُ يَهب،
وَلا صَوْتٌ إلا صَرَخات النَّاعي "بومٍ" و "ذِئْب"
لِمُباغتَةِ الْحَملانِ الْمَسْكينَةِ ، أَفْضَلُ وَقْت،
وَالأَفْكارُ الْبَريئَةُ تَحْيا في سُكونٍ وَصَمْت،
وَالشَّهْوَةُ الْجريمَةُ ، لِلْقَتْلِ وَالتَّشْويهِ اسْتَيْقَظَت.
٢٥/١٦٩ وَوَثَبَ الآنَ السَيِّدُ الشَّبِقُ مِنْ فِراشِه،
مُلْقِيًا رِدائه بِعُنْفٍ مِنْ فَوْقَ ذِراعِه،
في جُنونٍ تَتَقاذَفُهُ أَمْواجُ الرَّغْبَة وَالرَّهْبَة،
تَتَمَلَّقُهُ بَحَلاوَةِ الأُولَى، والثَّانِيَةُ بِهَلَعِ الْخَطيئة مُصيبَة،

هَلَعَ نَفْسَه الشَّرِيفة ، سَحَرَتْها الشَّهْوَةُ الْبغيضَة،
أوقعَتْهُ دومًا في حيرَة،
تشلُّ تفْكيرَهُ بِرَغْبَةٍ وَقِحَة مَسْعورَة.

٢٦/١٧٦ ضَرَبَ بِسَيْفِهِ الْمَعْقوفِ بِصَمْتٍ الْحَجَرَ الصَّوَّان،
فَتَطايَرَ مِنْ الْحَجَرِ الْبارِدِ شَرَرُ النِّيران ،
ثُمَّ أشْعَلَ شَمْعَةَ مِصْباحه،
لِيَكُن لِعَيْنِهِ الشَّبِقَةِ نَجْمُها الْهادي،
يَقولُ لِلشَّرَرِ وهو يفكر بتروي:
كَما أَضْرَمْتُ مِنَ حَجَرٍ بارِدٍ اللَّهَب،
رُضوخُ لوكريس لِرَغْبَتي أَمْرٌ عَلَيْها وَجَب.

٢٧/١٨٣ بَدَأَ يَتَأَمَّلُ، وَقَدْ كَسا الْخَوْفُ بِشُحوبٍ وَجْهَه ،
مَخاطِرِ مَغامَرَتِهِ الْمُدَنَّسَة،
وَراحَ يَتَحاوَرُ وَنَفْسِهِ،
عَمَّا سَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَحْزانٍ آتِيَة،
ثُمَّ أَلْقَى بِاسْتِخْفافٍ نَظْرَتَه،

عَلَى دِرْعِه الأعزَلِ [1]، والَّذي كَثيرًا ما تُذْبَحُ عليّه شَهْوَتِه،

وهكذا استطاع السَّيْطَرَةِ عَلَى ظَلامِ فِكْرِه.

٢٨/١٩٠ أَطْفِئ نوركَ قَنْديلي الْجَميلَ، ولأَحَدٍ لا تُعير،

لِتَحْجِبَها، تلك التي ضَوْءُها يَفوقُ ضَوْءَكَ بِكَثير،

ولِتَفْني أيَّتُها الأَفْكارَ الْوَقِحَةَ، قَبْلَ أَنْ تُدنِّس،

سَوْءاتُكَ هَذا الشَّيْءَ الْمُقَدَّس.

ولْتُشْعِلي أَنْقَى بُخورٍ لِضَريحِ الطُّهر،

ولْتَمْقُتْ الإِنْسانِيَّةُ الْجَميلَةُ هَذا الأَمْرَ،

الْمُدَنِّسَ لرداءِ الْحُبِّ [2] الْمُحْتَشِمِ الناصعِ الأغر.

٢٩/١٩٧ يا لَهُ مِنْ عارٍ عَلَى الْفُروسِيَّةِ وَبَريقِ الأَسْلِحَةِ!

وسوءِ خِزْيٍ لأُسْرَتي النَّبيلَةِ عَلَى الأَضْرِحَةِ!

وَيْلي مِنْ فَعْلَةٍ مشينةٍ تَحْوي كُلَّ سَيِّئَةٍ قَبيحَةٍ!

أَيَضْحَى الْفارِسُ عَبْدًا في يَدِ الْحُبِّ النَّاعِمِ وأُضْحوكَةً!

---

[1] يُقصد بدرعه الأعزل الضّمير، وهذه الصّورة الخيالية أوقعت النّقاد والشرّاح في معارك ضارية، والمعنى ببساطة الذي يريده شكسبير: أن سلاح تاركوين في مواجهة شهوته العارمة ضعيف للغاية، حتى يبدو وكأنه فارس أعزل يواجه العدو، فهو يصيبه ويجرحه دائما، لكنه لا يقضي عليه تماما.

[2] يقصد بالرداء المحتشم هنا الفضيلة.

ولترتدي الْبَسالَةُ الْحَقيقية ثوب العفاف،
فَكُلُّ وَضاعَةٍ عارٌ وَخِسَّة في هَذا الانْحِراف ،
عارٌ عَلَى وَجْهي علامة دائمة
٣٠/٤/٢٠٤ وَإنْ مِتّ، ستَحْيا الْفَضيحَة،
وَفي دِرْعي الذَّهَبي وَصْمَةٌ قَبيحَة،
وَفي سِجِلّي الْعَسْكَري النَّبيلِ نُقْطَةٌ مُشينَة،
إلَى هُيامي الأَحْمَق مُشيرَة،
وَذُرِّيَتي وَقَدْ أصابَهُم عارُ الْكَبيرة،
سَيَلْعَنون عِظامي، وَخَطيئَةً لَنْ يَرَوْها،
إذ ـــ" لَسْتُ والِدَهُم"ـــ أُمْنِيَةٌ تَمَنَّوْها.



٣١/ ٢١١ بِمَ أفوزُ إنْ حققتُ مَسْعاي؟
حُلْمًا، لاشيء، ولَحْظَةَ سَعادَةٍ زائِلَةً.
مَنْ يَشْتَري لَحْظَةً تُسْعِدُه بِأُسبوعٍ يَنْدُب،
وَمَنْ يَبيعُ الآخِرَةَ كَي شَيْئًا تافِهًا يَكْسَب؟
وَمَنْ مِنْ أَجْلِ حَبَّةٍ واحِدَةٍ يُحَطِّمُ كَرْمَةَ الْعِنَب؟

وَأي سائلٍ سَفيهٍ مِنْ أجْلِ تاجٍ يلْمَسُه،
عَلَى الْفَورِ يَجِدُ الصَّوْلَجان قاتِلَه؟

٢١٨/٣٢ وَإذا كولاتين لِمُرادي الْحَقيقي فَطَن،
ألَنْ يَنْهَض، وفي يأسٍ وَغَضَبٍ يَجِن،
يُسْرِعُ إلَيَّ، لِيَحولَ دُونَ حُدوثِ فَعْلَتي الْمُشينة؟
حِصارٌ يُهَدِدُ القرينة[1]،
عارٌ عَلَى الشَّبابِ، وَهُمومٌ لِلْعُقَلاء،
الْفَضيلَةُ تَحْتَضِرُ، والْخِزْيُ لِلْبَقاءِ،
تلكَ الْجَريمَةِ التي سَتَحْمِلُ لَوْمًا ليس له انتهاء؟

٢٢٥/٣٣ يا إلَهي .. أيَّ عُذْرٍ يَخْتَلِقُهُ خَيالي،
"الْفَعْلَةُ السَّوْداءُ" إذْ باقْتِرافِها تَتَهِمُني؟
ألَن يَعْجَزَ لِساني، وتَرْتَعِدُ الْهَزيلَةُ مَفاصِلي؟
وَأفْقِدُ بَصَري [2]، ويَدْمِي الزَّائِفُ قَلْبي؟
خَوْفي يَتَزايَدُ، فَالْجُرْمُ مُريع،
وَالْفَزَعُ عَلَى الْفِرار أوْ الْقِتال لا يَسْتَطيع،

---

١ يقصد زوجته لوكريس.

٢ أي تتوقف العين عن أداء وظيفتها، ونشير هنا إلى الاعتقاد السائد في ذلك الوقت، من أنّ رؤية الأشياء يتم عن طريق إسقاط شعاع الضوء من العين على الأشياء.

وَيَلقى حَتفَهُ جبانًا خائفًا يَرتَجِفُ صَريع.

٢٣٢/٣٤ لو نحر كولاتين ابني أو والدي،

لو تربص بي ليخطف حياتي،

لو لم يكن صديقي العزيز ، لبررت رغبتي،

في إغواء زوجته هكذا،

وكأنه ثأرٌ أو تصفيةُ حساب،

ولكونه من أهلي، وأقرب الأصحاب،

فلا أعذار لِفَعْلَتي المُشينَةِ أو أسباب.

٢٣٩/٣٥ وإن شاع أمرٌ مخزٍ بهذه الصورة،

فهو كريه بشع، وليس في الحب كراهه،

سأتضرع طالبا حبها، ولا تملك زمام أمرها،

سيقع الأسوأ .. رفضها وتجريحها،

رغبتي عارمة، تفوق عقلي، ولا يقوى على تنحيتها،

وَمَنْ يَرْهَب وَعْظَ الأخْلاق، وحكمةَ ذي الشَّيْب،

ستلقي المعلقة[1] في نفسه الرُّعبْ

---

[1] مفرش منقوش كان يعلق على الجدران، كتب عليه قصص أخلاقية أو عبر وحكم مأثورة.

٣٦/٢٤٦ غَرِقَ في جَدَلٍ وَصِراعٍ، وكَأَنَّ السَّماءَ عَنْهُ تَخَلَّتْ،

بَيْنَ ثَلْجِ الضَّميرِ وَنارِ شَهْوَةٍ اسْتَعَرَتْ،

يَطْرُدُ بِخَيْرِ أَفْكارِه،

الْجانَب الشرير لكي يحقق رغبته،

و تَسُبُّ فِي لَحْظَةٍ وَتَغْتال،

كل دوافع البراءة، وَ تَتَقَدَّمُ فِي طَرِيقَها وَما تَزال،

ليرى كل قبيحٍ في عينيه، أشرف الأفعال.

٣٧/٢٥٣ وقال: بعطفٍ ورقةٍ من يدي أخذتني،

محدقة تفتش عن نبأٍ في لهفة عيني،

تخشى خبرا سيئا من ميدان القتال،

حيث محبوبها كولاتين كان،

يا إلهي .. كيف ألهب الخوف وجهها!

بدا أَحْمَرُ كَما الْوَرْدَةِ على بياض نسيج رقيق،

ثم اعتراهُ بياضٌ بلون النسيج أَخْفَى توردها.



٣٨/٢٦٠ كيف أَسَرْتُ داخِلَ راحَةِ يَدي كَفَّها،

وخوفها الصادق على الرجفة أجبرها!

وبالحزن دهمها، وسرعان ما خفق قلْبها،

بأخبار سارة سمعتها عن زوجها،

فرسمتْ ابْتِسامَةً حُلْوَةً مُبْتَهِجَةً،

ولو نارسيس[1] شاهدها واقفة،
ما أغرقه في اليم غرامه بنفسه.

٢٦٧/٣٩ إذن لماذا أبحث عن حجج ومعاذير؟
فحين ينطق الجمال يصمت الخطباء،
ويندم ذوي الخسة الخائفون على أفعالهم الشّنعاء،
والحب في قلب تفزعه أوهام الضمير، بلا نماء،
هواي قائدي، وهو نجم السماء،
وحين تصل رايته المنمقة العلياء،
يقاتل دون يأس الجبناء.

٢٧٤/٤٠ إذن فليغرب الخوف الطفولي! وليفنَى الجدل العقيم!
وليبقَ العقل والرصانة للشيوخ !
وقلبي لعينيَّ أبدا لن يلوم،
ويصاحب العقلاء الصمت الجاد والتروي العميق،
ودور الشباب لي، يدحر هؤلاء ويقصيهم عن المسرح

[1] شاب وقع في حب صورته في الماء، والمقصود هنا أن نارسيس لو رأى لوكريس لكان وقع في حبها، ولم يهلك نفسه. (وقد أشرنا إلى نارسيس كأصل النرجسية في هوامش ترجمتنا لقصيدة "فينوس وأدونيس" لوليم شكسبير).

فالرغبة مرشدي، والجمال بغيتي،
فمن يهاب الغرق، حيث هذا الكنز مُطرح؟

٤١/٢٨١ وكما تعوق الأعشاب نمو النبات،
تقصُّ الرغبة العارمة جناحي الرَّهبةُ المترقبة،
تسلل وبأذن للسَّمع مرهفة ،
بين ثقة معدومة وأمانٍ طائشات عمياء،
كما العبيد تزينان للظالم طريق الغواية الظلماء،
وتكدران في تضارب أمام عينيه صحو السماء،
فيقرر تارة الغزو ويقسم ثانية على السّلام.



٤٢/٢٨٨ في تفكيره تجلس صورتها المقدسة ،
ويستقر كولاتين على المقعد نفسه ،
والعين التي ترنو إليها لأفكاره طامسة،
والعين التي تنظر إليه أكثر قداسة،
وليست بهذه المشاهد الزائفة آنسة،
بل تتوجه إلى القلب بجاذبية طاهرة،
والذي بمجرد انحرافه، اختار أسوأ وجوهه.

٢٩٥/٤٣ ويشد من أزر قواه الخائرة،
والتي تملقها القائد بمرح الصورة،
وكما تملأ الدقائق الساعات تملأ قواه الشهوة،
ومثل قائدهم بدأ غرورهم يزداد،
وأكثر مما يدينون، يطيعون باستعباد،
وبينما لجنون الرغبة الجامحة يستسلم،
السيد الروماني نحو فراش لوكريس يتقدم.
٣٠٢/٤٤ فتحول بين رغبته وغرفتها أقفال،
وأمام قوته تذعن، وتسحب اللسان،
يفتحون الأبواب بصرير يفضح الشر،
يدفعون اللص المتسلل ليأخذ الحذر،
وليسمع الآخرون صرير الباب بخشونة عتبته،
وابن عرس[١] جواب الليل صاح لرؤيته،
فأخافه، ولازال يواصل في طريق فزعته.
٣٠٩/٤٥ بينما تفتح الأبواب الطريق مكرهة،

---

[١] ربما يعجب القارئ الكريم من وجود (ابن عرس) في بيت أحد قادة الرومان، لكن يبدو أنه كانت هناك عادة الاحتفاظ به لقتل الهوام والحشرات بدلا من القطط.

فمن خلال فتحات وشقوق بالمكان صغيرة،
دخلت الرياح تصارع مصباحه لتمنع تقدمه،
لينتكس دخانه على وجهه،
وأطفأ ضوء قائده ومرشده،
والرغبة الحمقاء لقلبه المحموم تحرقه،
فأرسل حمما أشعلت من جديد مصباحه.
٣١٦/٤٦ عاود الاشتعال، فنظر من خلال ضوءه،
إلى قفاز لوكريس، حيث إبرتها ملتصقة،
التقطها من فوق البساط [١] حيث كانت راقدة،
أمسك بها، فوخزت إصبعه،
كما لو أن شخصا حينئذ يخبره:
"عجل برده .. فقفازها لم يعتد الألاعيب الخسيسة،
وأدوات زينة سيدتي طاهرة."
٣٢٣/٤٧ كل شيء لا يبشر بخير، لكن لم يثنه،
وبحماقة أساء تقدير رفضهم وفهمه،

---

[١] أشار " مالون " إلى عادة فرش البساط أو المنجاد الصغير في ذلك الوقت، ولهذا لم يفت شكسبير إضفاء هذا التقليد على غرفة لوكريس.

فالأبواب والرياح والقفاز؛ من أعاقوه،
ردها للصدفة التي تمتحن إرادته وعزمه،
كالعقارب توقف الساعة ،
بتأخرها الرتيب تعيق طريقه،
حتى تفي للساعة بدينها كل دقيقة.

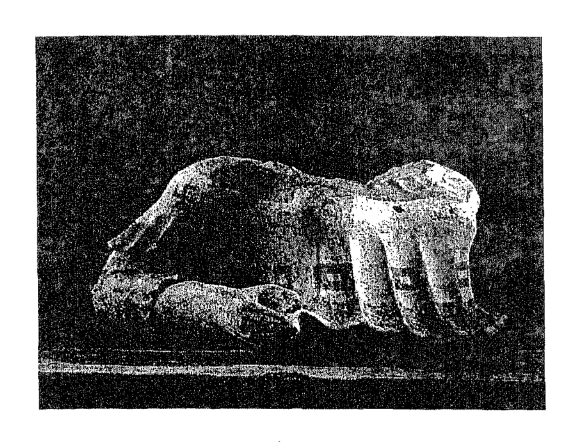
٣٣٠/٤٨ قال: أهكذا إذن .. الكل يعيق طريقي، وموعد الرغبات،
كحبات الصقيع تهدد الربيع بعض لحظات،
لتضيف للفصل متعة أكبر،
وتمنح من يلسعه البرد من الطير للغناء المبرر،
وثمن الحصول على كل نفيس آلام،
فالصخور الضخمة والرياح العاتية والقراصنة الأقوياء والحواف الصخرية والرمال،
يخافها التاجر قبل أن يرسو على شط الوطن ميسور الحال.

٣٣٧/٤٩ الآن إلى باب غرفتها قد وصل،

ودونه وسماء أفكاره يفصل،
بمزلاج قابل للفتح لا أكثر،
يمنع وصوله إلى من يسعى إليها السماوية،
هكذا أقصاه الشر عن طبيعته الأصلية،
حتى أنه بدأ يصلي من أجل فريسته،
كأن السماء ستعينه على اقتراف خطيئته.
٥٠/٣٤٤ وسط صلاة بغير فائدة،
يتوسل للقوى الأبدية،
لتستحوذ أفكار الخطيئة على أفكار الفضيلة،
وتكون فأل خير عليه في تلك الساعة،
انتابه فزع.. فصاح: وجب أن أقطف الزهرة،
والقوى التي أدعوها تمقت الفعلة،
إذن؛ كيف تساعدني على إتمام المهمة؟

الجزء الثاني

" نهب خزائن النَّقاء والطَّهر "



٣٥١/٥١ فليكن الحبُّ والحظ الإله المرشد!

والعزيمة لإرادتي السَّند،

والأفكار أحلامٌ، حتَّى بالتَّحقيق نختبرها،

والغسلُ لأسودِ خَطيئةٍ يُزيلُها،

ولهيبُ الحبِّ لِصقيعِ الْخَوْفِ مُذيب،
وعينُ السَّماءِ انْطَفَأَتْ، واللَّيلُ الْغائم،
سَيَسْتُرُ عارًا بَعْدَ اسْتِمْتاعٍ حُلْوٍ قَريب.
٣٥٨/٥٢ عقب الكلام، يده الآثمة للمزلاج انتزعت،
وركبته الباب على مصراعيه فتحت،
والحمامة صيدُ بومِ اللَّيل في نومٍ عميقٍ غطت،
قبلَ اكتشاف الخونة، هكذا الخيانةُ سلكت،
ومنْ يُشاهد حيَّةً تَخْتَبِئ جانبًا يتنحَّ؟
ولكنْ لوكريس نائمة كانت، ومن هذا الشَّيء ما خافت،
ولذا تحتَ رحمةِ لَدْغَتِه القاتِلَة كانت.
٣٦٥/٥٣ دخلَ الغرفةَ مُتَسلِّلا والشَّرُّ يَصْحبه،
حدَّقَ في فِراشها والذي بعدُ لم يُدنِّسْه،
مسدلةً ستائرُها، فأخذَ في أرجاءِ الغُرفة جَوْلة،
عَيْناه الطَّامِعَة تتحركُ في محجرهما بِسُرعة،
وقلبه بخيانته الْعُظْمَى ضَلَّ طَرِيقَه،
فَأَعْطَى الأمْرَ عَلَى الْفَوْرِ لِيَدِه،

لِتُزيحَ السِّتارَ الذي يَحْجُبُ القمرَ الفضي.

٥٤/٣٧٢ وانظرْ .. كما تَنْدَفع الشَّمسُ النَّارِيةُ بَهيَّةَ المنظر،

من تحتِ سُحُب وتَسْلِبُ النَّظر،

حينَ فُتحتْ السِّتارةُ الحدثُ تكرَّر،

أغْلقَ عيْنيه، وقد سلبهُ الضَّوء الأقوى الْبَصَر،

بهرَ عينيه الضوء السَّاطِع الذي إيَّاه تُرسِل،

أمْ قد تخيَّل أشياءً مُخْجلةً أُخر،

كالْعميان صارا، وظَلّتْ مُغْلَقَة.

٥٥/٣٧٩ وإذا لقوا حَتْفَهُم في ظلامِ سجنهم،

لكانوا شُهودَ نِهايةِ شرِّهِم!

ولكان كولاتين لِلوكْريس الْمُجاور،

يَسْترِيح في فراشِهِ الطَّاهر،

ولكنْ يَجِب فتح عَيْنَيه، لتطلب للرَّابط الْمُقدَّس تَدْنيس،

ويجبُ على ذاتِ الأفكارِ السَّماوية لوكْريس،

أن تُغذّي عُيُونَه ببَيع بهجتها والحياة وعالمها غير التّعيس.

٣٨٦/٥٦ يدها الزُّنْبُقيَّة تحتضن خدها الوردي،
تحتالُ على قبلَةٍ مُباحةٍ للْوسادَة،
غَضِبت الْوسادة، وبدا وكأنَّها تُفارق مُتباعِدة،
نَفختْ جانبيها مُعْتَرِضَةً على نشوةٍ سُلبتْ منها،
وبين التَّلَيْن سكنتْ رأسُها،
راقدةً كنصبٍ تِذْكاري طاهرٍ ،
لتحوز إعجاب عيون مدنسة دواعر.

٣٩٣/٥٧ وخارج الفراش تمد كفها الجميل الآخر،
بلونه الأبيض الناصع على الغطاء الأخضر ،
بدا مثل زهرة الربيع على الكلأ،
وقطرات تشبه ندى الليل من اللؤلؤ،
وعيناها كزهرة [1] حُجِب ضوؤها،
تنام بروعة في ظلام غطائها،

---

[1] وهي بالإنجليزية Marigold أو الآذريون، وتروي الأساطير أنّ هذه الزّهرة تتفتح أوراقها مع بزوغ ضوء الشمس وتغلقها مع غروبها.

حتى تتفتح فتزين النهار بنورها.

٥٨/ ٤٠٠   وشعرها خيوط الذهب تداعبه أنفاسها،

احتشام شقاوتها، ودلال عفتها!

تصور الحياة[1] على الموت حققت انتصارها،

وصورة الموت القاتمة في لحظات نومها،

كلاهما يحاولان في نومها تجميل نفسيهما،

كما لو لم يكن هناك صراعا بينهما،

كأن الحياة والموت يتعايشان في بعضهما.

٥٩/ ٤٠٧   ونهديها كرتا عاج بحلقات زرقاء،

عالمان عذريان لم يتعرضا لاعتداء،

لغير سيدهما، لم يستعبدهم غرباء،

إليه فقط أقسما أن يدينا له بالولاء،

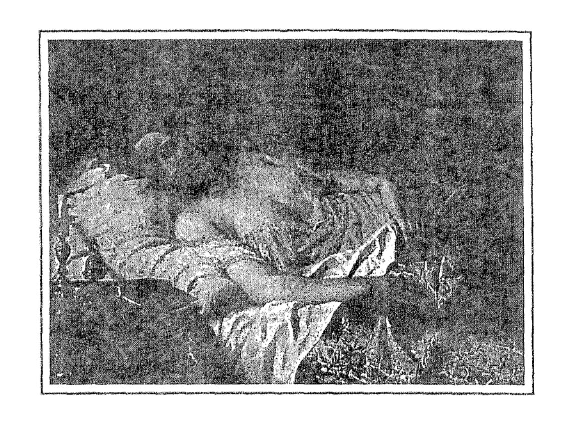
ولدتا داخل تاركوين طموحًا جديدًا،

فانطلق كمغتصبٍ كريهٍ قالعًا،

صاحبةِ العرش الجميل اقتلاعًا.

---

[1] بالإنجليزية Map of death ويقصد بها هنا النوم ، وMap هنا تعني صورة، وتشير إلى الوجه.



٦٠/٤١٤ أيَّ شيءٍ شاهده ولاحظه بقوة؟
وأي شيءٍ لاحظه، ورغبه بشدة؟
وما شاهده، بعنف شُغِفَ به،
تغذت حتى الإرهاق في شهوته عينيه النهمة،
تفوق مجرد الإعجاب حالته،
بعروقها السماوية وبشرتها المرمرية،

وذقنها الأبيض ذي النونة، وشفاها المرجانية.

٤٢١/٦١ منتشيا بفريسته متجهما واقفا كالأسد،
بانتصاره قد أشبع الجوع الأشد،
هكذا كان تاركوين عند رأس الملاك الراقد،
وثورة شهوته هدأتها المشاهد،
هدأتْ ولم تُقمع. ولأنه بجوارها رابض..
فعيناه التي من لحظات خبت التمرد،
حرضتْ بجنون الثائر عروق الجسد.

٤٢٨/٦٢ فانطلقوا عشواء، كجنود يتنافسون على الغنائم،
عبيد بعناد توشك على العراك الشرس حول المغانم،
الموت الدامي والاغتصاب يستعذبون،
وآهات الأمهات ودموع الأطفال لا يحترمون،
بشهواتهم يتفاخرون، والانقضاض يتوقعون،
ولخفقان قلبه على الفور تعليمات،
يقررها بهجوم محموم لتحقيق الرغبات.

٤٣٥/٦٣ قلبه الدقاق يرفع معنويات عينيه المستعرة،
وعيناه تسلم القيادة ليديه،
ويداه بالتشريف والتبجيل افتخرت،
وكلها شهوة، تقدمت وتوقفت،
عند صدرها السافر، وقلب مرابعها،
بخطوطه زرقاء العروق، كفه واردها،
فتركها شاحبة ذابلة الجميلة هالاتها.

٤٤٢/٦٤ يصطفون حول القلب الراقد،
حيث تنام سيدتهم الجميلة، القائد،
يطلعونها على أمر الحصار المروع،
روعوا قلبها بصراخهم المفزع،
فتحت المغلقة عينيها في دهشة كبرى،
تحدق وسط الضجيج لتبصر ما جرى،
فطغى وهج مصباحه ليعتمها فلا ترى.

٤٤٩/٦٥ تخيلها في صمت الليل الساكن إنسانة،
توقظها من نومها المثبط خيالات مرعبة،

حتى هُيِّئَ لها أنها رأت أشباحا مخيفة،
أرسلت أشكالها الرعب في مفاصلها والرجفة،
يا للفزع! وهي في أسوأ حالات الهياج،
ولتستبين بحذر بعد نهوضها من نومها والإزعاج..
المشهد الذي أحال رعب الوهم واقع.
٦٦/٤٥٦ كطائر ذُبح للتو، كانت ممددة ترتجف،
وقد داهمتها وأحاطت بها واحتلت نفسها آلاف المخاوف،
لم تجرؤ على النظر، فأغلقت عينيها،
تتراءى لها الأشباح مسرعة، منفرة، أمام ناظريها،
صور تخيلها المريض عقلها،
كان غاضبا، فالعيون حجبت ضوءها،
وبمشاهد مروعة أكثر في الظلام يخيفها.
٦٧/٤٦٣ على صدرها جاثمة يده ومازالت،
ككبشٍ قبيح، أرادت هدمَ سورها العاجي!
ربما يتحسس قلبها، مسكين هذا المخلوق!
في محنته ينزف حتى الموت في صعودٍ وهبوط،

يزلزل صدرها، فتهتز يداه معه،

فتُحرِّك فيه غضبا أكثر وثورة، وأقل شفقة،

يهاجم ليخترق حصون مدينتها الحلوة.

٦٨/ ٤٧٠ في البدء كالبوق استهل لسانه،

يتفاوض مع الخائرة قواه ، عدوه،

تطل بذقنها فوق الغطاء الأبيض ببياضٍ يفوقه،

تستعلم لهذا الهجوم المباغت سببا،

ويحاول أن يظهره سلوكا صمتا،

أصرت على أن تعرف بشدة التوسلات،

تحت أي ذريعة ارتكب مثل هذه السيئات؟

٦٩/ ٤٧٧ أجابها: حتى في غضبك..

يذبل السَّوْسَن [١] بلون [٢] وجهك،

والوردة الحمراء خجلا من خزيها تتورد،

ستدافع عني، ستروي لحبي حكاية،

أنا هنا لأقتحم تحت هذه الرّاية،

---

[١] زهرة شديدة البياض.
[٢] بالإنجليزية Color وهنا تورية على معنى (لون) و المعنى الثاني (ذريعة) والمعنى الثالث (راية).

قلعتك الحصينة التي لم تقهر، فالخطأ خطؤكِ،
فعيناي فتنتهما عيناكِ.

٤٨٤/٧٠ وهكذا .. إن نويتِ اللوم، فإني محذّركِ،
جمالك مَن أوقع بكِ هذه الليلة في الشركِ،
عليك الاستجابة لإرادتي بصبركِ،
فأنت بهجة عالمي الفاني، هكذا رغبتي تُصوركِ،
سعيت بكل قوةٍ لدي لأفوز بها،
لكن التأنيب والعقل يثبطها ليقضي عليها،
وجمالك المتألق من جديد يبعثها.

٤٩١/٧١ كم من مساوئ ستجلبها محاولتي .. هذا أدركه،
وأعلم للورد النامي أشواك تحميه،
وأعرف أن للعسل نحلة لاسعة تحرسه،
أعي ذلك جيدا ، ومن قبل أحسبه،
أما الرغبة فصماء ولا تصغي للعاقلين من الخلان،
وعينها تحدق فقط في الحسان،

وهي بما تراه ضد الشرع والواجب كاللهفان.

٤٩٨/٧٢ وتحاورت حتى مع نفسي..

كم من ندمٍ وخزي وإساءة سأحدثها،

وما من شيء يعرقل الرغبة ويسيطر عليها،

أو يوقف طوفان غضبة انطلاقها،

فعلني.. أعلم أن دموع الندم،

والتوبيخ والاحتقار والعداوة القاتلة ستلحق بها،

أما خزي وعاري فما زلت أصارع لاحتضانها.

٥٠٥/٧٣ سيفه الروماني يتراقص في الفضاء فور الانتهاء

كصقر يحلق عاليا في السماء،

تستظل فريسته أجنحته ، ويغطيها... يخفيها،

بمعقوف المنقار يهدد، تطير فتلقى حتفها،

هكذا تحت رحمة سيفه المنتشي ترقد،

لوكريس البريئة وما يقوله ترقب،

كطائر سمع أجراس[1] الصقر من الخوف ترتعد.

٥١٢/٧٤ قال: لوكريس الاستمتاع بك الليلة وجب،

وإذا رفضتِ، فشق الطريق بالقوة أوجب،

وفي فراشك، عاقد العزم على تحطيمكِ،

وسأقتل عقب ذلك خسيسا من عبيدكِ،

لأغتال شرفك مع نهاية حياتكِ،

بوضعه بين الموات ذراعيكِ،

وأقسم أني قاتله لما رأيته في أحضانكِ.

٥١٩/٧٥ هكذا زوجك طوال حياته سيكون،

محتقرًا من كل إنسان يراه،

أقاربك من هذه المهانة أنفسهم سيشنقون،

"أولاد الحرام" كنية لذريتك تلطخ الجباه،

بسببك أنت هم محزونون،

سيورد الناس ذكر فضيحتك في الأشعار، ولن تنساه،

والأطفال في عصور قادمة بها يتغنون.

[1] كانت تعلق أجرس في ارجل الصقر قديما.

٥٢٦/٧٦ فإن رضختِ، في السر أكون لك الخليل العشيق،
فخطيئة لم تُعرف، كفكرة ينقصها التحقيق،
فعليك بأصغر الخطايا من أجل أكبر الأهداف السامية،
قاعدة تقرها القوانين الاجتماعية،
قد يمزج الدواء السام..
بخليط ناجع، وحين الاستخدام،
لا تكشف النتائج عن أية آلام.
٥٣٣/٧٧ ولذلك.. ومن أجل زوجك وأولادك،
أولي طلبي اهتمامك،
ولا تورثيهم عارا ، لا يمحوه أي شعار بطولي ،
وصمة من الذاكرة أبدًا لن تُباد،
من "شارة العبيد[١]" أسوأ .. و "وشم الميلاد"
لأن علامة يولد بها الإنسان..
من خطأ الطبيعة، وليس عار خاص بهم.

---

[١] علامة كان يميز بها أجساد العبيد.

٧٨/ ٥٤٠ هنا بعين الأفعى [1] الهالكة المميتة،
استنهض نفسه، واستوقفها لبرهة،
حيث لوكريس ، صورة الطهارة البريئة،
غزال أبيض تحت مخالب نسرٍ حادة،
في غابة بلا قوانين تتوسل،
لوحش همجي، بحقوق النبلاء الضعفاء يجهل،
ولغير شهوته اللعينة لا يمتثل.

٧٩/ ٥٤٧ ولكن إذا ما هددتْ سحبٌ سوداء وجه العالم،
حاجبةً شاهقات الجبال في غياهب الغمام،
فتزفر ريحا رقيقة من رحم الأرض المظلَم،
تنحي البخار الأسود القاتم عن مكانه،
لتمنع العاصفة الوشيكة بتشتيته،
هكذا كلماتها أعاقت اللعينة سرعته،

---

[1] وهي بالإنجليزية cockatrice " الأصلة "، او " أم طبق " وهي حية خرافية، إذا نظرت إلى شخص صرعته. ويشير " توبسل " في كتابه المشهور (تاريخ الثعابين) ١٦٠٨ إلى تأثيرها المدمر على الإنسان، حيث تشل كلّ وظائف الدّماغ والقلب والعين، وبالتالي يموت الإنسان في الحال. ولقد أشار شكسبير إليها في مسرحيته (الليلة الثانية عشر) و (روميو وجوليت).

وأغلق بلوتو[١] متقلب المزاج جفونه وأورفيوس[٢] يسمعه قيثارته.

٨٠/٥٥٤ إلا أنه كقطٍ لعين متنمر راح يلاطف،
وقابضة قدمه بإحكامٍ على الفأر الضعيف اللاهث،
يغذي سلوكَها الرزين جنون شهوته العابث،
كجوفٍ يبتلع بلا شبع ولو تشبَّع،
تصل صلواتها مسامعه، وقلبه يتمنَّع،
ونفاذ أصواتها إلى قلبه يمنع،
والشهوة تقويها الدموع، والحجر بالأمطار يخضع.

٨١/٥٦١ علقت بحزن عينيها ، تلتمس الشفقة،
في وجه متجهمٍ غير نادم تعلوه القسوة،
وفصاحتها الهادئة بالآهات مُزجت،
شاعريتها جمالا وحسنا زادت،
حديثها متقطع العبارات،
تكثر في وسط جملها الوقفات،

---

[١](بلوتو) حاكم العالم السفلي
[٢](أورفيوس) زوج (يوريديس) الذي ذهب إلى العالم السفلي من أجلها، وسحر بلوتو حاكمها بعزفه على القيثارة.

ولتنطق بواحدة، تحاول قبلها مرات.

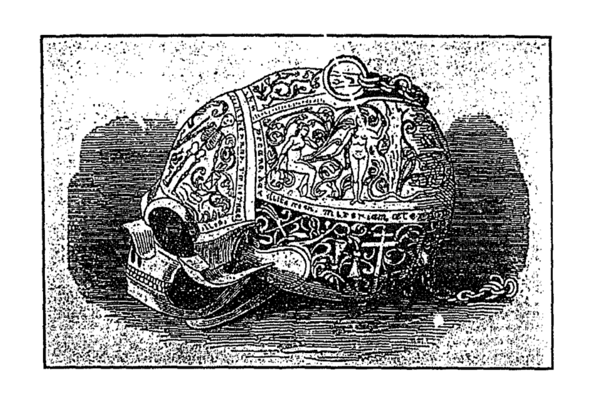
٥٦٨/٨٢ بالجبار العظيم (جوف[1]) استحلفته،
بعهد الصداقة الجميلة، بنبله، بفروسيته،
بدموعها المستنـــزفة في غير آوانها، بحبٍّ زوجها،
بالإخلاص بالأمانة بقدسية قوانين البشرية،
بالأرض والسماء وبقوتهما معًا،
يتوجه كالضيف إلى العابر فراشه عائدًا،
يرضخ للشرف، وليس خلف الرغبة القذرة منساقًا.

٥٧٥/٨٣ قالت: لا تقابل الضيافةَ.. كرمها..
بخطيئة سوداء تعتزم أن تقدمها،
شربت الماء، فلا تلوث [2] بالطين نبعها،
لا تفسد أشياء تعجز عن إصلاحها،
قبل أن تنهي رحلة صيدك، غايتك الدنيئة دعها،
فمن يصوب سهمه ليقتل غزالا مسكينا،
في غير أوان الصيد، لا يعد صيادا.

---

[1] كبير الآلهة عند الرومان.
[2] إشارة إلى حكمة شهيرة، تعود إلى القرن السّابع عشر تقول: " لا تُلقي بالقاذورات في النافورة التي تشرب منها أحيانًا."

٨٤/٥٨٢ زوجي خِلّك، فمن أجله اتركني،
قوي أنت وعظيم، فمن أجلك ارحمني،
كائنة أنا ضعيفة، في شركك لا توقعني،
إنسان أنت مخادع ــ لا يبدو عليك ــ فلا تخدعني،
آهاتي دوامة تحاول اقتلاعك،
فإن حركت آهات امرأة رجلاً قبلك،
فلتؤثر دموعي وأهاتي وأنيني فيك.
٨٥/٥٨٩ كلها مجتمعة، كالبحر الثائر،
تضرب قلبك الصلد، وبالتحطيم تُنذر،
غايتها أن تليّنه بتحركها المستمر،
فالحجارة ببطء تلين في الماء وتتغير،
يا إلهي.. إن لم تكن أشد قسوة من الحجر،
لِتَذُبْ تَحْتَ دُموعي، وعطوفًا رحيمًا تَصِرْ،
فرِقَّة الشفقة خلال بوابة من الحديد تمر.
٨٦/٥٩٦ في صورة تاركوين استضفتك،
لِتُخْزِيه ، في صورتِهِ كان تَنَكُّرك؟



لكل قوى السماء سأقدم تظلمي،
فأنت تسيء لشرفه، وتلوث لقبه الملكي،
أنت لستَ كما تبدو، وإن كنتَ كذلك،
فلا تبدو على حقيقتك، إله ، ملك،
فالملوك كالآلهة[١] يجب على الأشياء تهيمن.
٨٧/٦٠٣ كيف سيثمر عارك في حياتك،

[١] هنا إشارة إلى المعتقد السائد في العصر الإليزابيثي في نظرتهم إلى الملك كإله على الأرض ، يتمتع بقدسية كبيرة، ولذا تثور عناصر الطبيعة إذا ما أصابه أي مكروه.

لما تنبت خطاياك أمام ذريتك؟
بعدك وليا للعهد، وجرؤتَ على جرم كهذا شنيع،
فحين تصبح ملكا، ما الذي لن تؤته من صنيع؟
تذكر جيدا: أي فعلة شنعاء..
محوها مستحيل، وإن اقترفتها يد الرعايا الأذلاء،
فكيف يخفي جوف القبور جرائم الملوك.
٨٨/٦١٠ فعلة يحبك الناس من أجلها فقط خائفين،
والملوك السعداء المهابة والتبجيل بحب صادق يتلقون،
ستكون مجبورا على تحمل جرائم الأشقياء المجرمين،
مثال الجرائم نفسها فيك سيرون،
لو يخيفك هذا، فعن تحقيق شهواتك عليك اجتناب،
فمثل الأمراء كمثل مرآة ومدرسة وكتاب،
حَيْثُ تنظر وتتعلم وتقرأ عيون الشعوب.
٨٩/٦١٧ أتريد أن تكون مدرسة، للشهوة تعلِّم؟
ودروس الخزي يقرأها فيك المتعلم؟
أو مرآة ترغب، كموضع للنظار،

مرجع الخطيئة، ومفوض العار؟
لِتُستَباحُ باسمك الأشياء؟
فأنت للذمٍّ نصير ضد ذائع الصيت .. الثناء،
والسمعة الطيبة تجعلها فحشاء.

٩٠/٦٢٤ أبيدك الأمر؟ الله إياه منحك،
ومن قلبٍ طاهرٍ تأمر تمرد رغبتك:
فلا تحرس الظلم باستلال سيفك،
فهو للقضاء على الشرور مُنِح لك.
كيف تحقق كأمير مسئولياتك،
والخطيئة اللعينة ستعترف حين ترى فيك نموذجا،
لقد تعلمت الرذيلة، وأنت من دلها الطريق؟

٩١/٦٣١ كيف سيكون المشهد مريعًا .. تصور،
لو أنك نظرت لخطيئتك في آخر،
فأخطاء البشر نادرا ما لأنفسهم تظهر،
فخطاياهم الشخصية غالبا ما يخفونها،
وهذه الخطيئة سيستحق أخاك الموت لو فعلها،

يا إلهي .. كيف بهذا الخزي يتسترون،

حتى تتحول عيونهم لسوء ما يفعلون!

٦٣٨/٩٢ وإليك أنت .. نعم أنت ، رافعة يدي أتوسل،

لا من أجل الشهوة المغرية، تدفعك بتهور،

فأنا متوسلة .. راجية من منفاه يعود الملك،

دعه يعود، ليتلاشى الفكر الشهواني المتملق،

فبحكمته الصادقة، الاشتهاء الزائف سجيناً،

و يزيل الضباب المعتم عن عيونك الشبق،

حتى ترى مَن أنت بحق، وعلى حالتي تشفق.

٦٤٥/٩٣ وقال: "هل انتهيت؟" بحري الهائج لا يوقف اندفاعه أحد،

وبهذه المقاومة سيزيد فوق الحد،

فسرعان ما تخبو الأضواء الصغيرة، والنيران الضخمة تبقى،

وتزداد مع الرياح استعارا،

وصغار الأنهار تسدد دينا يوميا،

بشلالاتهم العذبة لسيدهم البحر المالح يسرعون،
يزيدون فيضانه ، ومذاقه لا يغيرون.

٦٥٢/٩٤ " أنتَ بحرٌ... الملك الحاكم " قالت،
ولكن انظر في بحرك الفياض يتساقط..
الخزي وسوء التصرف والشهوة السوداء،
ومَن يسعون لتلويث بحرك من الدماء،
وإن كان الخير بداخلك ستغيره توافه الأخطاء،
فبحرك سيختفي في رحم بركة ماء،
والبركة في بحرك لن تذهب هباء.

٦٥٩/٩٥ وهكذا سيصبح العبيد ملوكا، وأنت عبدا لهؤلاء،
أنت نبيل وضيع، وهم وضيعون نبلاء،
أنت حياتهم الجميلة، وهم قبح قبرك،
أنت كريه بخزيهم، وهم كذلك في كبريائك،
ويجب ألا يخفي الحقير الأعظم،
والأرز لا ينحني لتوافه الشجر عند القدم،

بل الشجيرات الصغيرة تحت جذور الأرز تذبل.

٦٦٦/٩٦ وهكذا لتجعل وضيعي وجاهتك .. أفكارك،
قاطعها: "كفي عن هذا " لن أسمعك بحق السماء،
إذا لم ترضخي لحبي، فبقوة البغضاء،
سأقطعك إربا، للمسات الحب الناعمة بدلا،
وسأحملك بقسوة فور الانتهاء،
إلى فراش حقير لأحد الخدم الوضعاء،
وتصبحا في مصير العار شركاء.

٦٧٣/٩٧ دهس الضوء بقدمه لما انتهى،
فالضوء ألد أعداء الشهوة،
والخزي يتلحف الليل الحالك السواد ويتوارى،
وإذ ابتعد عن الأنظار أكثر، يطغى أكثر،
تملك الذئب[1] فريسته، ويصرخ الحمل
وبثوبها الأبيض يعيق صوتها،
ويواري صرخاتها في الحظيرة الحلوة .. شفتاها.

---

[1] الصورة للذئب يلتهم حملا وديعا، والصوف الأبيض للحمل رمز الرداء الأبيض للوكريس.

٩٨/٦٨٠ كانت في لباس النوم، وبه يوقف،
صرخاتها المدوية، كانت تستدر العطف،
بدموعها الطاهرة يطفئ خدوده الملتهبة،
لم تذرفها حزنا أبدا، ولا ندما العيون المحتشمة،
يا إلهي .. كيف يلطخ فراش الطهارة جموح الشهوة!
حتى الأماكن التي يمكن بالبكاء تُطهر،
يجب ألا يتوقف عليها دمعها المنهمر.
٩٩/٦٨٧ أغلى من الحياة نفسها، ما فقدت،
وفاز هو بما سيخسر،
بالقوة سيلتحم، فيولد صراعا أكبر،
لحظات المتعة ستولد آلاما لأشهر،
ولهيب الرغبة لاحتقار بارد يتحول،
نهبت خزائن النقاء والطهر،
واللص الشهوة صارت من ذي قبل أفقر.
١٠٠/٦٩٤ أنظره كصقر متخم، ككلبٍ أعياه الشبع،
على ملاحقة فريسة متهالكة عاجز، والفرار الأسرع،

متكاسلا يطارد، أو هاربة يتركها،

مع أنها مصدر لذتهم بطبيعتها،

هكذا ودع الليلة تاركوين المتخم،

بلذة الطعم وعسر الهضم،

يتناول رغبته، التي عاشت على القذارة تلتهم.

الجزء الثالث

" شكواي "



١٠١/٧٠١ يا إلهي .. خطيئة أكبر من أن تستوعبها لانهائية الأفكار،

في جلسة يهيم فيها الخيال!

ستعيد ما ابتلعته الرغبة الثملة،

قبل أن يرى فعلته المرة،

لا يكبح التعنيف في أوجها ثورة الشهوة،

أو يسيطر على طيش الرغبـــة،

حتى يصير كحصانٍ بري أخرق يرهق نفسه بنفسه.

١٠٢/٧٠٨ وبعد .. بوجنة نحيلة شاحبة هزيلة،

وجبين عابس، وخطوة منهكة، وعيون ثقيلة،

بدأت الرغبة الواهنة بجبن وخنوع ذليلة،

كمفلسة تبكي حالها ، متسولة،

تتصارع في الجسد العنيد المتكبر مع الفضيلة،

وحين تنطفئ اللذة، وقد كانت هناك تسعد،

يبدأ في طلب الصفح الآثم المتمرد[١].

---

١ يقصد الجسد

١٠٣/٧١٥ السيد الروماني المذنب كان على هذا الحال،
والذي سعى برغبة جامحة لتحقيق هذه الفعلة،
الآن ضد نفسه يصدر حكما،
على مر العصور بالعار موصوما،
ودنست معبد روحه الجميل،
واحتشدت الهموم حول طلله الهزيل،
لتسأل الأميرة[١] الموصومة بالخزي عن حالها.
١٠٤/٧٢٢ وقالت: بالتمرد المشين لرعاياكِ[٢]
دمروا أسواركِ المقدسة ،
جلبوا بهذا الخطأ الفادح لخلودكِ المذلة،
فجعلوكِ أسيرة عبدة ،
لحياة موات، وغرقتِ في معاناة أبديّة،
بحدوثه المحتوم كان تَنَبّـؤُكِ ،
وكبح جماح رغبتهم عجزت بصيرتُكِ.
١٠٥/٧٢٩ بهذه الحالة من الفكر تسلل الأسير،

---

[١] المقصود روحه المدنسة بالعار
[٢] المقصود حواسه

في ظلام الليل، هذا المنتصر فاقدا بفوزه الكثير[١]،
حاملا جراح، لا شيء على مداواتها قدير،
رغما عن أي دواء، سيبقى العار،
تاركا ضحيته يعتصرها ألم واضطراب كبير،
حاملة للشهوة التي خلفها أعباء،
وهو يحمل لعقل المذنب أخطاء.

١٠٦/٧٣٦ وهو مثل كلب لصٍ من المكان يزحف مكتئب،
وهي ترقد لاهثة كَحَمَلٍ مُتعب،
وهو عابس، يكره ذاته لهذا الذنب،
وهي يائسة، تُنشبُ أظافرها في جسدها،
وهو هارب ذليل، وعرقه من الخوف يتصبب،
وهي باقية، تلعنُ ليلتها المريعة،
وهو مهرولا، يؤنب متعته المنقضية الكريهة.

١٠٧/٧٤٣ يرحل من هناك نادما حزينا،
وهي باقية هناك وروحها كشخص يائس ضال،

---

١ المقصود أن تاركوين انتصر على لوكريس، وفي الوقت ذاته كسب الخطيئة الأبدية.

وهو متعجل عن ضوء الصباح يسأل،
وهي تصلي داعية ألا ترى النهار،
فالنهار -كما قالت – عن خطايا الليل يرفع الأستار،
وأبدا لم تتمرس أنظاري الأطهار..
على إخفاء الذنوب تحت حاجب خبيث مكّار.

١٠٨/٧٥٠ كل عين تستطيع مشاهدة العار،
الذي تعرفه عيناها. كمْ سيطرت عليهم تلك الأفكار،
و لهذا في الظلام راغبتان،
لتظل خطيئتهم التي لم يطلع عليها أحد طي الكتمان،
وتكشفُ بالدموع خطاياهما الظّاهرة،
وفي وجنتي عاري المقدر الذي أستشعره حافرة،
كمياه في الصلب ناخرة.

١٠٩/٧٥٧ عندئذٍ صاحت موبخة الراحة والاسترخاء،
وأمرت عينيها أن تبقى للأبد عمياء،
ضربت صدرها لتوقظ القلب،
أمرته بالهجرة، ليجد مكانا أفضل،

يحتضن فيه مثل هذا العقل الأطهر،
نفثت غضبها، ولفها جنون حزنها،
من خلوة ليلةٍ خفيةٍ وسرها.
١١٠/٧٦٤ اللعنة عليك أيها الليل؛ هادم الراحة، صورة الجحيم،
سجل العار البهيم،
المسرح الأسود[١] لجرائم القتل المروعة، والمآسي،
فوضى عارمة تخفي الخطايا، وللشرور تغذي!
عاهرة ملثمة، وللخزي في عتمتك تأوي،
الكهف الكئيب للموت، المتآمر الواشي،
مع الخيانة الصامتة، ومغتصبي!
١١١/٧٧١ آه أيها الليل الكريه الغائم المعتم،
طالما أنك المذنب وراء من لا علاج لها ..جريمتي،
قم بتجميع غيومك لمواجهة الضوء الشرقي،
واعلن الحرب على دوران الزمن المنتظم،

---

١ Black Stage إشارة إلى عادة تعليق ستائر سوداء أثناء عرض مأساة في خلفية المسرح.

وإذا أجزت وصول الشمس كعادتها لعنان السماء،
فلتغزل قبل أن تصل إلى فراشها..
سحبًا سامةً حول رأسها الذهبية.

١١٢/٧٧٨ وافسد بنوبات الرطوبة العفنة للصباح هواء،
ولْتُصِبْ أنفاسَهُ السقيمة المتصاعدة بالداء،
حياة وجوهر الطهارة، والجمال السامي١،
قبل وصولها إلى منتصف الظهيرة منهكة،
لتسرع أبخرتك الكثيفة المتجمعة،
بصفوفها الخانقة تجبر أضواءها الخافتة،
على الغروب عند الظهيرة، وتخلق ليلا أبديا.

١١٣/٧٨٥ ولو كان طفل الليل – تاركوين – الليلَ ذاته،
كان سيوصم الملكة٢ الفضية الساطعة،
وبسببه ستلطخ بالعار وصيفاتها٣ اللامعة،
وعلى صفحة الليل الأسود ثانية لن تظهر،
وهكذا لو أناس في ألمي معي يشتركون،

---

١ المقصود الشمس
٢ المقصود القمر
٣ المقصود النجوم

رفقاء الأسى، تلك الأحزان يخففون،

كما في رحلة الحج، تقصِّرها حكايات الحُجّاج.

١١٤/٧٩٢ والآن لا أجد مَن للخجل يشاركني،

يطوون أذرعهم١، يُطأطئون رؤوسهم مثلي،

و يقطبون حواجبهم ليخفوا خزيهم،

لكنني وحيدة، ووحيدة يجب أن أجلس لأتألمَّ،

أُبهِّر الأرض برزاز ماء مالح فضي..

وأخلط حديثي بدمعي، وتأوهاتي بأحزاني،

تلك مظاهر زائلة لحزن على الدوام باقٍ.

١١٥/٧٩٩ أيها الليل: أفران الدخان الخانق الكريه،

لتمنع النهار اليقظ رؤية هذا الوجه،

الراقد مشوها تحت ثوبك الأسود، لكل شيء ستّار،

مسخه الخزي دون احتشام، والعار!

واحتفظ للأبد بِظُلْمَةِ عرشِكَ،

والأخطاء جميعا التي تحدث في عهدك،

---

١ طي الذراع، سحب القبعة لأسفل من تقاليد الحزن.

يمكنها بالمثل أن تُقبر في ظلالكِ.

١١٦/٨٠٦ لا تجعلني حكاية على لسان النهار الثرثار،
فالنور فاضح، يكشف للعفة الحلوة قصة انهيار،
حفرتْ على جبيني آثار وآثار،
وقسم الزواج المقدس أصابه خرق لعين،
أجل.. حتى من لا يعرفون القراءة، هؤلاء الأميون،
وقراءة المدوَّن في كتب العلم لا يستطيعون،
سيلحظون خطيئتي الكريهة في نظراتي وتستبين.

١١٧/٨١٣ ستحكي المربية حكايتي لتهدئة طفلها،
وباسم تاركوين تخيف الصارخ رضيعها،
والخطيب الذي يريد لخطبته التنميق والتزيين،
سيقرن خطيئتي بعار تاركوين،
والباحثون عن ولائم فيها ينشدون، بقصتي المخزية سيتغنون،
ستجذب آذان المستمعين، ولكل سطر ينصتون،
كيف أساء لي تاركوين، وكم أهنتُ كولاتين.

١١٨/٨٢٠ واجعل اسمي الطيب، تلك السمعة الخالصة،
لمحبوبة كولاتين الغالية، مصونة طاهرة،
ولو صار موضوعَ نقاشٍ،
ستفسد للجذر الآخر آلاف الغصون١،
توبيخا لا يستحقه ولا من نصيبه يكون،
و احفظه نقيا عن سمعتي الملطخة، قصيًا،
فأنا من قبل، كنت لكولاتين الطهارة والعفة الجلية.
١١٩/٨٢٧ وا أسفاه على هذا العار والخزي الخفي!
وا أسفاه على الوجع وهذه الندبة الخاصة، والغائر جرحي،
اللوم قد طَبع على وجه كولاتين،
وصمة يمكن أن تقرأها عن بعد عيون تاركوين،
كيف يجرح كولاتين في السلم لا في الحرب.
وا أسفاه ..كم من الناس يتحملون المهين من الضرب،
وهم لا يدرون، بل يعرفهم من وجَّهها لهم!

---

١ المقصود أنه إذا أساء إلى سمعتها، فبدوره سيؤثر في سمعة كولاتين زوجها.

١٢٠/٨٣٤ أكولاتين: إذ كان شرفك يتجسد في شخصي،
فقد سُلب بهجوم قاهر مني،
وأنا كذكر النحل، فقدت عسلي،
وشيئا من العسل المدخر للصيف لم يتبقى لي،
إلا وسُلب ونُهب باغتصاب مؤذٍ،
زحف دبورٌ متجول إلى خليتك الضعيفة ،
و ارتشف كلَّ ما كانت تحتفظ به نحلتك العفيفة.
١٢١/٨٤١ ومع هذا فأنا مشاركة في تدمير شرفك،
ولكنني استضفته من أجل كرامتك،
لم أقدر على رده، فهو آتٍ من عندك،
سيكون من غيرِ اللائق أن أرده،
كما أنَّه من الإرهاق كان يشكو،
وعن الفضيلة تحدث .. يا إلهي، أي شرٍ غريب لعين،
حين تكمن الفضيلة مدنسة في الشياطين!
١٢٢/٨٤٨ لماذا يجب أن تغزو الدودة البرعم الطاهر،
أو تفرخ طيور الوقواق الكريهة في أعشاش العصافير؟

أو تعكر الضفادع بالطين المسمم جميل النوافير،
لماذا تكمن الشهوات الطاغية في عظيم الصدور؟
ولماذا يخرق القوانين ولاة الأمور؟
لكن لا وجود لتمام الكمال،
ذاك الذي لم يدنس بأي حال.
١٢٣/٨٥٥ يكنز الكهل في صندوق ذهبه،
ويغزوه النقرس والاضطراب العضلي ونوبات الألم تعذبه،
فنادرا ما تتمكن عيناه من كنزه فتبصره،
ودوما كتنتالوس[١] الجائع في جلسته،
وبلا طائل يدخر حصاد فطنته،
فلا يجد بهجة ثانية لمغانمه،
غير العذاب، فهو لا يستطيع شفاء آلامه.
١٢٤/٨٦٢ يمتلكها وغير قادر على استعمالها،
فيتركها ليتولى صغاره أمرها،

[١] تنتالوس هو (زيوس) وقد عوقب بالجوع الدائم، والعطش، وأمامه الطعام والشراب، لكنه عاجز عن الوصول إليهم.

وسرعان ما يسيئون بغطرستهم استخدامها،
فوالدهم كان واهن للغاية، وهم من القوة في عنفوانها،
أكثر مما يحتاجون لثروة مباركة ملعونة لأمد يحفظوها،
تصير الحلوى التي نشتاق إليها علقما كريها،
في اللحظة التي نقول أننا نملكها.

٨٦٩/١٢٥ فالرياح العاصفة قرينة الربيع الغض،
والأعشاب الضارة تمد مع الزهر الجميل جذورها في الأرض،
والأفعى تهس حيثُ الطيور الجميلة تغرد،
وتلتهم المظالم الفضيلة وما تولد،
وليس بحوزتنا خير يمكن أن نقول أنه ملكنا،
إن هي إلا نوبات بعينها تتوسل بالخير لأغراض شريرة،
تغتال حياته، أو طبيعته الخيرة.

٨٧٦/١٢٦ يا إلهي .. أيتها الظروف: عَظُمَ ذَنْبُك!
خيانة الخائن تتحقق في ظلك،
الذئب إلى حيث يتمكن من التهام الحمل تُطْلِقين،

والوقت الأنسب لِلْمُخَطِّط للخطيئة تحددين،
والحق والقانون والعقل تزدرين،
وحيثُ لا يراها أحدٌ في ظُلْمَةِ زنزانتك،
الخطيئة متربصة بالأرواح الحائمة بجوارها تُمْسِك.
١٢٧/٨٨٣ ووراء حنث عذارى فيستا بقسمها تقفين،
وحين يخمد الاعتدال، النار تؤججين،
وتخنقين العفة، والأمانة تغتالين،
عاهرة أنت، سيئة السمعة، قذرة من المقامرين!
تزرعين الفضائح، والثناء تقلعين!
مغتصبة، لص زائف، أنتِ تخونين!
عسلك إلى سم يتحول، وفرحك حزين.
١٢٨/٨٩٠ ستتحول إلى خزي مفضوح الخفية بهجتك،
وإلى وليمة عامة، خصوصية مأدبتك،
وإلى أسماء ممزقة بالية المتملقة ألقابك،
وإلى نبات مر المذاق حلاوة لسانك،
ولا أبدية لفداحة خيلائك،

إذن .. كيف أيتها الظروف الحقيرة يحدث هذا،
تسعى إليك أعداد غفيرة، وأنت سيئة هكذا؟

١٢٩/٨٩٧ متى تكونين للمتضرع الصديق الوفي،
ليحصل على مبتغاه في حينه تُحْضِريه؟
متى لنهاية الصراعات الكبرى وقتًا تُحدِّدين،
وروحا كبلها البؤس تحررين؟
والدواء للمريض، والراحة للمتألم ستمنحين؟
والفقير والأعرج والضرير والمتعثر الزاحف يصرخون وبك يستنجدون،
وهم والفرصة المواتية أبدا لا يلتقون.

١٣٠/٩٠٤ يموت المريض والطبيب نائم،
ويتضور اليتيم جوعا، والظالم طاعم،
تبكي الأرملة، والعدالة تقيم الولائم،
وتلهو المشورة الطبية، والعدوى تتفاقم،
لا تمنحين لأفعال الخير لحظات،

والغضب الثائر، والحسد، والخيانة والاغتصاب، ولجرائم القتل ثورات،

كخدام تلازمهم الكريهة الساعات.

١٣١/٩١١ وحين تتعامل معك الفضيلة والحقيقة مضطرة،

فالعوائق بالآلاف دون مساعدتك حائلة،

ويدفعون لها مقابل، وأبدا لا تعطي أجرا الخطيئة،

وتحضر مجانا، وتكونين جدا مرضية،

حتى تتسمعين وتمنحين ما تقوله لك السوءة،

كان سيحضر إلى كولاتين،

فمنعته القدوم، وسمحت بذلك لتاركوين.

١٣٢/٩١٨ أنت متهمة بالقتل والسرقة،

متهمة بالقسم الزائف، وشهادة الزور، والرشوة،

متهمة بالتزوير والخداع، والخيانة العظمى،

متهمة بهذا الشيء المقيت، سفاح القربى،

اتخذته لتحقيق نوازعك الطبيعية معين،

وكل خطايا الماضي والمستقبل تحققين،
منذ بدء الخليقة إلى يوم الدين.
١٣٣/٩٢٥ لحظات النحس لليل القبيح معين،
رسول المكر السريع، وحامل جُل الهموم،
مدمر الشباب، والعبد المخادع للمتع الزائفة،
مراقب الأحزان النذل، جواد الخطيئة، فخ الفضيلة!
أنتِ للجميع القوت، وللكل قاتلة،
ولتسمعيني أيتها اللحظات المؤذية الخادعة!
بموتي أنتِ المذنبة، وأنت بجريمتي المخطئة.
١٣٤/٩٣٢ ولماذا خادمتك ((الفرصة)) بي غدرتْ،
في ساعات كانت لي للراحة مُنحتْ؟
قيدتني، وعلى حظوظي في الحياة قضتْ،
بسلاسل إلى فترة أبدية، وحزن سرمدي؟
والقضاء على الأعداء هدف الوقت الحقيقي،
والتهام الأخطاء روجتها إشاعات العامة،
وليس تبديد مهر الفرش الشرعية.

١٣٥/٩٣٩ وتكمن للزمن عظمته في تهدئة مَن من الملوك يثور،

وكشف الخداع، وجلب الحقائق إلى النور،

وبخاتم الزمن يختم على العتيق من الأشياء،

ويوقظ الصباح، ويحرس المساء،

ويدين الظالم فيعود الحق لمستحقه،

وبساعاته يدمر المباني الشاهقة،

وبالغبار يلطخ أبراجهم الذهبية المتألقة.

١٣٦/٩٤٦ تملأ عظيم الآثار بثقوب للديدان،

وبتفاهات الأشياء تغذي النسيان،

امح، وبدل للكتب القديمة محتويات،

وانزع ريش أجنحة المعمرة من الغربان،

وجفف نضارة البلوط القديم، وأحي جديد البراعم،

أنت تبلي القديم الفولاذي الصلب،

وتوجه عجلة الحظوظ غير منضبطة الدوران.

١٣٧/٩٥٣ أتِحْ للعجوز رؤية حفيداتها،

جاعلا الطفل رجلا، والرجل كالطفل،

واذبح النمر الذي يحيا على القتل،

وروِّضْ الأسد الشرس، والحصان[1] أحادي القرن،

واسخر مِمَن يقهرهم المكر،

وارفع معنويات المزارع بمحصوله المثمر،

فلتبلي بقطرات الماء ضخام الصخر.

١٣٨/٩٦٠ ولماذا تقترف إساءة في رحلة الحج،

إلا أن استطعت العودة لرأب ما أفسدت؟

لو عادت من عمر أحدنا لحظة بائسة واحدة،

لجلبت لك آلاف الأصدقاء،

وتمنح من أتمَّ قروضا باهظة بلا رصيد يذكر، للتفكير فرصة،

يا إلهي .. أيها الليل الرهيب: لو عدت للوراء ساعة،

ربما تجنبت دمارك، ومنعت العاصفة!

١٣٩/٩٦٧ أيها الرفيق الأبدي للخلود:

---

١ يشير الناقد " بولار " هنا إلى عدم دقة في نقل المعلومة من قِبَل شكسبير، لأنه من المعروف أن هذا الحصان مخلوق خرافي ولا يمكن ترويضه إذا تخطى عمره العامين، ليصبح بعدها من أشرس الحيوانات. إلا أننا نرفض هذا الزعم، لأن شكسبير يطلب على لسان بطلته أن تتحول الأرض إلى جنة.

ألا يمكنك إعاقة هروب تاركوين بكارثة؟
وتخلق على غير العادة أسبابا طارئة،
تجعله يلعن ليلته الآثمة،
ولترعب الأشباح المخيفة عينيه الداعرة،
وأفكار الفزع لشرور ذاته الكامنة،
ولتحيل كل شجيرة شيطانا ملامحه مشوهة.

١٤٠/٩٧٤ أرِّق ساعات راحته، نغصها بنوبات القلق المريع،
وأبله في فراشه، تلازمه أحزان وأوجاع،
بمصائب تستدعي الشفقة فلتصبه،
ليتأوه، ولا تشفق على تأوهاته،
بقلوب من حجر، أو أكثر صلابة منها اقذفه،
ولتفقد اللطيفات من النساء معه وداعتها،
ولتكنّ أعنف من النمور في شراستها.

١٤١/٩٨١ امنحه عمرًا ليمزق المجدول شعره،
لتمنحه عمرًا ليهذي رغما عنه،

امنحه عمرًا ليقنط و زده،
وليعش عبدًا مستذلاً، امنحه عمرًا،
ليصبح متسولاً يشتهي فضلات الطعام، امنحه عمرًا،
امنحه عمرًا ليرى شخصًا يعيش على الصدقة،
ويهينه.. فلا يمنحه بقايا الطعام المحتقرة.

١٤٢/٩٨٨ امنحه عمرًا حتى يرى الأصدقاء أعداء،
للسخرية منه يتجمع الحمقى الظرفاء،
امنحه عمرًا ليلحظ كيف يسير الزمن بطيئًا
ساعات الحزن، وكيف تمر قصيرةً سريعًا
أوقات حماقاته، ودعاباته،
لا تجعل مَن لا علاج لها جريمتَه،
تجد الوقت لتندب سوء حظــــه.

١٤٣/٩٩٥ أيها الوقت، الخير والشر علَّمتَ،
علمني ألعن مَن بالشرِ لقَّنتَ!
ومِن ظله يفر اللص بجنون،
وقَتْلَ نَفْسِهِ يحاول في كلٍّ حين،

فذاك الدَّمُ الملوث يجب أن تريقَه تلك الأيادي البائسة،
فمن أكثر وضاعة ليقوم بمثل هذه الفعلة،
سوى جلادٍ[1] سيئ السمعة، لعبدٍ كهذا ذي خِسَّة؟
١٤٤/١٠٠٢ هو الدَّناءة ذاتها.. فمن أصل ملكي ينحدر،
يخزي حلمَ ولي العهد بسلوكٍ مُحتقر،
فعلى قدر الإنسان، أفعاله تُقَدَّر،
فمكرَّمًا يكونُ، أو بغيضًا يُسَيَّر؛
فَعِظَمُ الفضيحةِ قرينُ رِفْعَةِ الْمَنْصِب،
والقمر تخفيه في التو السُّحُب،
ولكن صغارَ النجوم ربما أَخْفَتْها وقتما تَرْغب.
١٤٥/١٠٠٩ الوحلُ يغسل سَواد الفحم.. أجنحةَ الغراب،
ويطير مَن لا نلمحه بقذارته الذُّباب،
ولو بجعةً كبياض الثلج بَغَتْ،
لَفَوْقَ ريشها الفضي البقعةُ ظلَّتْ،
والوضيع كاللَّيل الخفي، وكنهارٍ ساطعِ الأمير،

[1] كانت مهنة الجلاد (عشماوي) يُنظر إليها في ذلك الوقت باحتقار شديد.

ولكن البعوضُ لا يُلاحَظ حيث يطير،
و النّسور يرقبها كلٌ بصير.
١٤٦/١٠١٦ كَفَى... كلماتٌ فارغةٌ ... خدَمُ البلهاء،
أصوات فارغة، مُحَكَّمون ضعفاء،
اشغلوا أنفسكم بجدال أساتذة الجامعات، لإظهار مهاراتهم متبارون
وتحاوروا عندما تسمح الفرصة والبلهاء المتحاورون،
محامو الوكلاء الخائفين تكونون،
أما أنا، فلا أقيم للجدال وزنًا،
فقضيتي يائسة، ولا ينفع القانون عونًا.
١٤٧/١٠٢٣ فأنا بلا فائدة أسبُّ الفرصة ،
وتاركوين والليل الكئيب واللحظة،
أعترض بلا نفعٍ.. بسفهٍ على عاري،
أرفض بلا جدوى .. باحتقارِ المكتوبَ جُرْحِي،
وسُحبُ الكلماتِ الفارغةِ لن تُفِيدَني،
ومعاوني حقًا دوائي،

وهو إراقة[١] القذرة الملوثة دمائي.

١٤٨/١٠٣٠ يدي المسكينة: علام الرجفة من القرار؟

كرمي نفسك .. خلصيني من العار،

فحين أموت، شرفي بداخلك يحيا،

وتعيشين في عاري إذا لم أفنى،

ودفاعًا عن الفاضلة سيدتك لم تستطيعي،

وجَرْحَ عَدَوِّها اللعين كنتِ تخشين،

فاقتليها لخضوعها، وبعدها نفسك تقتلين.

١٤٩/١٠٣٧ أنهت قولها، ومن فراش غير مرتب انتفضت،

عن أداة مقيتة للموت بحثت،

ما من أداة تساعدها، فهذا ليس بمذبح،

وللقضاء على أنفاسها المجال تفتح،

تدفعها خلال شفاهها وتختفي،

كسحبِ "أتنا"[٢] في الهواء تنتهي،

---

١ نوع من العلاج الطبي (الشعبي) المعروف في ذلك الزمان، وهو ما يسمى عندنا (بالحجامة)
٢ (اتنا) بركان نشط على الساحل الشرقي لصقلية، واسمه من أصل إغريقي.

كدخان طلقات المدافع يهوي.

١٥٠/١٠٤٤ قالت: لا فائدة، حياة وسعي غير مجدٍ،

للحصول على أداةٍ مبهجة، على حياتي التعسة تقضي،

وقد خشيتُ الذَّبح من السَّيف المعقوف لتاركوين،

بيد أنني للسبب ذاته أبحث عن سكِّين،

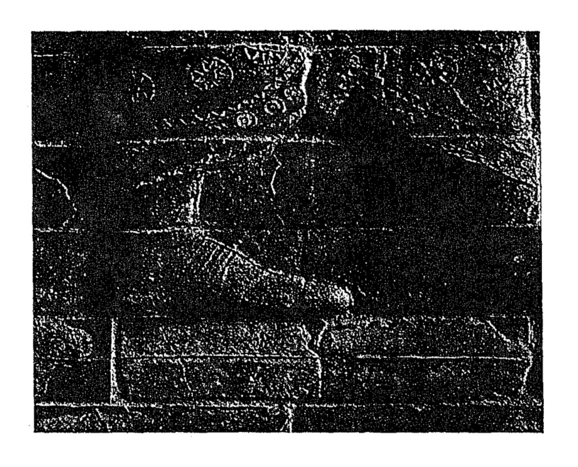
كنتُ زوجةً فاضلةً حين داهمني الخوف،

وهكذا أنا الآن ــ لا لستُ ــ لا وألف...

فتاركوين سلبَ مني سُمْعَةَ الوفاءِ والتَّعفُّف.

الجزء الرابع

" رسالة إلى السيد الموقر مِن غير الموقرة "



١٥١/١٠٥١ وا أسفاه .. ضاع ما الحياة من أجله كانت،

وعدم الرهبة من الموت لحظته وجبت!

أُطَهِّرُ بالموت هذه البقعة، أو لأمنح..

لثوب الخزي ، شعارَ السِّيرةِ الأصلح،

لخزي باقٍ حي، حياة مَيِّتة،

أيها العون البائس: الكنزَ نَهَبَه،

فَلْنُحْرِق صُنْدوقًا بَرِيئًا ضَمَّه!

١٠٥٨/١٥٢ حسنًا .. حسنًا، محبوبي كولاتاين؛ أبدًا لن تعلم،

عن مذاق اغتصاب البراءة العلقم،

لن أُسيءُ لصدق حُــبِّك،

وأحنثُ باليمين لأخْدعك،

لن تنمو أبدًا بذرة السفّاح،

ولن يتفاخر من لزرعك استباح،

لثماره هو " أنت الوالد الحنون" صيَّاح.

١٠٦٥/١٥٣ ولن يبتسم لك وتُخفي أفكارًا سَرِيرَتُه،

ولن يضحك لحالتك ورِفْقَتُه ،

ستعلم؛ لم يُبَع شرفُك بخسة بالذَّهب ،

بل من عقر دارك سُلب،

قدري أحمله، وهذا حالي،

لن أغفر أبدًا خطيئة نفسي،

حتى أفنَى، ومِن لعنتي مكرهةً الموتُ يخلصني.

١٠٧٢/١٥٤ أبدًا لن تسمِّمَكَ وصمتي،

أو يخفي خطيئتي صدقُ المزيفة معاذيري،

لن ألوِّنَ ساحةَ خطيئتي السوداء،

أداري في ليلةٍ زائفةٍ حقيقةَ أسوأ الأخطاء،

لساني بالتَّفاصيل ناطقٌ، وبواباتُ السد عيوني،

كينبوع جبلي للوادي الصغير يغذي،

بأنهار طاهرة تُدْفَعُ لتغسل دَنَسَ قِصتي.

١٠٧٩/١٥٥ أنهى العندليب[١] الحزين هنا..

شدوه العذب، وأحزانه المسائية تلا،

بخطى الحزن البطيئة، الليل الوقور سجى،

إلى الجحيم القبيح، حين ... أنظر: الصباح المتورد حياء..

يعير ضوءه، وستستعيره كل عَينٍ حسناء،

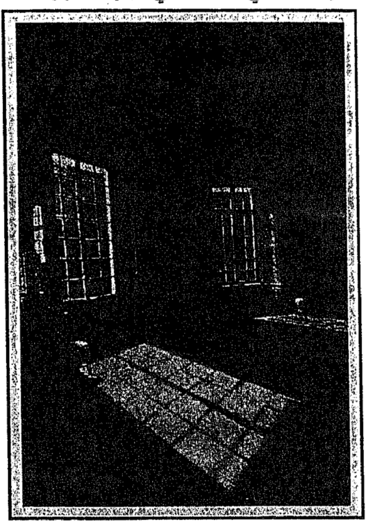
---

[١] إشارة إلى (فلوميل) أو (فلوميلا) والتي تحولت إلى طائر، بعد أن اغتصبها زوج أختها (تيريوس) القبيح.

سوى لوكريس، حجبتها غيوم حزينة عن الرؤية

خجولة،

لذا كانت راغبةً في البقاء في ليلها معزولة.



١٠٨٦/١٥٦ زار النهار كل ركنٍ، ويرقُب،

لاحَظَها كما يبدو جالسة تَنْتَحِب،

حدثتها ونحيبها: يا عين العيون:
خل التَّلَصُّــصَ، لماذا من خلال نافذتي تحدقين؟
ولا من العيون النَّائمة بأشعتك المرحة تسخرين،
وجَبِيني بضوئك الحاد تحرقين،
فليس لكِ فيما حدث ليلا أن تتدخلي.
١٠٩٣/١٥٧ بتفاهةٍ راحت تعترض على كل ما تراه،
فالحزن الحقيقي أحمق، كطفل يغضب دون أناة،
مزاجه نكد، فلا شيء يتوافق وهواه،
على نفسه يسيطر الحزن القديم وليس الوليد،
فالزمن يروض الأولى، و يمنح الشراسة للجديد،
ودومًا يغوص سباحٌ تدريبه محدود،
يغرق لافتقاره المهارة ببذل أكبر مجهود.
١١٠٠/١٥٨ وغارقة في أعماق بحر الهموم كانت،
تجادل كل ما شاهدت،
مع نفسها كل الهموم والأحزان قارنت،
كل شيء يؤجج نار أحزانها،

كلما خمدت واحدة، تبرز على الفور وتنشط غيرها،
وأحيانًا تكون بلا كلام كآبتها،
ومرات مسعورة وكثير من الكلام لديها.

١٥٩/١١٠٧ تشدو لبهجة الصباح صغار الطيور،
بأنغام عذبة تجعل حزنها مسعور،
فأعماق الجروح والأحزان يخترقها الحبور،
الأرواح الحزينة تذبحها صحبة السرور،
ويُسرُّ الحزنُ مع كآبة الصحبة،
الحزن الحقيقي إذن، يرضى تماما،
بتعاطفه مع أقرانه في الحالة.

١٦٠/١١١٤ أن تغرق على مرأى من الشاطئ.. هذا موتٌ عظام،
يجوع الجائع عشر مرات عند رؤية الطعام،
وتزداد للجرح عندما يرى المرهم آلام،
وحين ترى يد العون، يتفاقم كبير الأحزان،
الحزن العميق كبحر رقيق متدفق،

فإن احتُجِزَ، الضفاف المحيطة بالماء ستغرق،
فالحزن لا يعبث، ولا يبالي بحدود أو منطق.

١١٢١/١٦١ قالت: لتكتمي أنفاسك أيتها الطيور الساخرة،
داخل صدوركن الجوفاء، وبالريش متفاخرة،
كوني صماء وخرساء، إن كنتُ حاضرة،
وقفات وسكتات ألحانك لا تفضلها نغماتي النشاز الحائرة،
فالمضيفة الحزينة لا تتحمل مرح الزائرة،
كوني بأنغامك العذبة للآذان السعيدة مجاهرة،
فالضيق يحب حزين الأنغام، إذ الدموع للأوقات حاضرة.

١١٢٨/١٦٢ هيا فلوميل، من يغني عن الاغتصاب،
ولتجعل جنتك الحزينة في شعري اللباب،
كما تبكي على أغنيتك الحزينة الأراض الرطاب،
فأنا كذلك؛ كرها دمعي على كل نبرة حزينة صبّاب،
وبامتعاضٍ أتحمل لحنك المنساب،
وباسم تاركوين سأظل أدندن، أغنيتي،

وتتغنين تيريوس[1] بلحنك المساير الخلاب.

١٦٣/١١٣٥ أنتِ تؤدين دورك وعلى شوكة مائسة[2]،

لتوقظي أحزانك القاسية. وأنا البائسة،

لأكون مثلك تماما؛ في قلبي غارسة،

سكينا حادا كي أفزع الناعسة،

سيسقط حينئذٍ ويموت لو العين طارفة،

كَمفاتيح القيثارة تلك الوسائل في آلة موسيقية ماكثة،

ستجعل أوتار قلوبنا مع الحزن الحقيقي متجانسة.

١٦٤/١١٤٢ ولأنك طائري المسكين لا تغرد أثناء النهار،

خجلا من أن تراك الأنظار،

لنبحث عن أماكن بعيدة مظلمة قفار،

لا تعرف البرد القارص أو ظمأ النار،

وهناك سنشدو بحزين الأنغام،

لتغيير طبائع المخلوقات الصرام،

---

[1] وهو الملك " تيريوس " الذي قام باغتصاب أخت زوجته " فولميلا " وقام بقطع لسانها وحبسها، وقامت أختها " بروجني " بإطلاق سراحها، وقتلت ابنه " إيتيوس " وطهيه وقدمته لوالده، وتحولت بعد ذلك إلى عصفور، و"فولميلا " إلى عندليب وهو إلى هدهد.

[2] طبقًا للمعتقدات الشعبية، تجثم أنثى العندليب عمدًا على شوكة مقابل صدرها، لتبقى دوما يقظة.

وبما أنَّ الرجالَ وحوشٌ، فلتحمل الوحوش وديع الأحلام.

١١٤٩/١٦٥ كغزال خائف مسكين، يقف مترقبًا،

أي طريق سيسلك للفرار، يقرر مضطربًا،

أو كشخص وسط متاهة المنحنيات،

لا يقدر أن يطأ على الفور الطرقات،

كانت في حالة من التمرد مع نفسها،

حياة أم موت، أي الخيارين أفضل لها؟

حين تكون الحياة مخزية، واللوم لقتل النفس تاليها.

١١٥٦/١٦٦ وقالت: يا إلهي .. إن أقتل نفسي، ماذا يحدث؟

ستتلوث روحي مع جسدي الملوث؟

ومن يخسر النصف، يتحمل بصبر جميل،

أكثر ممن يبتلع ذاته كاملة في قوة التدمير،

كأمٍّ بمحنة قاسية تمر،

ضمَّ أحدَ طِفلَيْها الجَميلَيْنِ قبر،

وحتى لا تعتني بأحد قط، قتلت الأخر.

١٦٧/١١٦٣ جسدي أم روحي، أيهما الأغلى،
تتقدس الآخرة حين تَطْهُرُ الأُولى؟
حُبُّ أَيِّهُما كانَ في نَفْسي الأَوْلَى،
حين كنت أحتفظ بهما من أجل كولاتين والسما،
يا إلهي انتزع عن شجرة الصنوبر العالية اللَّحا
ستَذْبُل أوراقُها وسائلُها سيفنى،
ولحاء روحي اُنتزِعَ، ولذا المصيرَ نفسَهُ ستلقى.
١٦٨/١١٧٠ منزل روحي سُرق، ونُغِصَتْ هدأته،
مدافع العدو دكته،
نهبتْ وخَرَّبتْ معبدها المقدس ودنسته،
بخزي كبير، بهول طَوَّقته،
إذن.. "ضعف إيمان " عليها لا تُطْلِق،
إذا ما فتحةً في هذا الحصن المدنس تُخْرِق،
من خلالها روحي المعذبة تَنْطَلِق.
١٦٩/١١٧٧ ولهذا لن أقدم على الموت قبل أن يعرف
كولاتين،

سببا لوفاتي المبكرة،
ليستطيع القسم في حزن ساعتي،
على الانتقام ممن جعلني أقضي على حياتي،
ولتاركوين دمي الملوث تركتي،
سبب تدنيسه، ولذا فهو المخول بالنفقة،
وسأوثق ذلك حقًا له في وصيتي.

١١٨٤/١٧٠ سأورِّث السكين شرفي،
وستجرح ما وُصِم بالعار، جسدي،
وإنّه لشرفٌ أن تتخلص من حياة بلا شرفٍ،
فيعيش طرفٌ بموت طرفٍ،
ومن رماد العار يُولد طيب سمعتي،
سأقتل الاحتقار المخزي بموتي،
ويولَدُ شرفي ثانيةً بموت خطيئتي.

١١٩١/١٧١ سيدي الحبيب يا فاقد جوهرته الثمينة،
ماذا أورِّثكَ مِن تركة بوصية؟
مصدر فخرك يا حبيبي قراري،

به في انتقامك تهتدي،

كيف تتعامل مع تاركوين.. اقرأ هذا في،

فأنا صديقتك أقتل عدوتك نفسي،

بالطريقة نفسها، تعامل مع تاركوين الزائف.. من أجلي.

١١٩٨/١٧٢ سأوقف على هذه الصورة وصيتي،

روحي للسماوات [١]، وللأرض جسدي،

وقراري تأخذه أنت يا زوجي،

وشرفي للسكينِ سببِ جرحي،

وعاري من نصيب من دنس سمعتي،

وليوزع ما سيبقى من سيرتي،

على مَن يعيشون، ولا يضمرون أي سوء ناحيتي.

١٢٠٥/١٧٣ ستشرف كولاتين على هذه الوصية،

ستراها... كيف وقعت أنا في هذه الخدعَة،

دمي سيغسل عار خطيئتي البشعَة،

---

[١] أشار الناقد " بولر " هنا لوصية شكسبير ذاته، والتي اقتبس منها السطر الثاني، فقد قال في وصيته : " أزكي روحي بيد الله، وجسدي للأرض. "

ونهاية حياتي الفاضلة، ستكفِّر عن إساءة حياتي
المشينة،
فلا تضعف قلبي الواهن، ولتقل بحسم: "ليكن الأمر هكذا"
فيدي سوف تقهرك، فاستسلم ليدي،
فإن متَ ماتا، رافعين راية النصر.
١٢١٢/١٧٤ وحين وضعت بجدية وإصرار خطة موتها،
ومسحت اللؤلؤة المالحة من البراقة عينيها،
وبصوت أجش مرتفع نادت على خادمتها،
والتي لبت مسرعة طائعة رغبة سيدتها،
فالواجب على جناح السرعة يندفع وانطلاقة الفكر،
وبدت وجنتا لوكريس لخادمتها،
كمروج أذابت شمس الشتاء ثلوجها.
١٢١٩/١٧٥ وإلى سيدتها ألقت تحية الصباح بوقار،
بلسان رقيق هامس، العلامة الصادقة للاحتشام،
لتتواءم وحزن السيدة، اتشحت بنظرة حزن،
فوجهها كساه رداء الوجد،

ولم تجرؤ على سؤالها عن السبب،
لماذا تعلو الغيوم شمسي عينيها؟
ولماذا يغمر الحزن جمال وجنتيها؟

١٢٢٦/١٧٦ وكما تبكي الأرض لفراق الشمس،
ومثل عينٍ ذائبة يعلو الندى الورد،
هكذا بدت بقطرات منتفخة مبللة، خادمتُها،
وعيونها المستديرة قهرها تعاطفها،
لغروب الشموس الجميلة في سماء سيدتها،
في محيط مالح الأمواج أطفأت نورها،
كليلٍ فوقه الندى، كانت الخادمة تبكيها.

١٢٣٣/١٧٧ تلك المخلوقات الجميلة على حالها طويلا وقفت،
كنوافير عاجية لأوعية مرجانية ملأت،
تبكي واحدة وحُقٌ لها، والأخرى تواسيها،
مشاركة فقط، بلا سبب تتساقط قطرات دموعها
ولكونهما من النواعم، فللبكاء يميلان،

وتحزنهما أحزان الآخرين، إذ فيها يفكران،

وعندئذٍ ينفطر قلباهما أو عينيهما يُغرقان.

١٧٨/ ١٢٤٠ من حجر عقول الرجال، وكالشمع رقيقة عقول النساء،

لذا يجعلها المرء مرمرا كيفما يشاء،

وبعض الطباع ، حين يقهر الضعفاء،

تتشكل بالقوة والخداع أوالحيَل داخلهم،

فلا تقُل أنهم قد أغرقوا أنفسهم في وحل الأخطاء،

ولا تصم الشمع بالشرِّ،

حين يصور على شاكلة الشيطان.

١٧٩/ ١٢٤٧ ونعومتهن كسهل منبسط جميل

يكشف عن زاحف من الديدان صغير،

والرجال كما في غابة كثيفة، خشنة الأوراق يُبقون..

شرورا كامنة داخل كهوف مظلمة تنام،

وتحدق بقع صغيرة خلال بلورية الجدران،

والرجال بنظرات متجهمة جريئة يستطيعون إخفائهم،

ووجوه النساء الضعيفات كتب أخطائهم.

١٨٠/١٢٥٤ لا تدع رجلا يهاجم زهرة ذابلة،
بل أنبِّ الشتاء القارص على قتلها،
ليس الضَّحية، بل مَن اغتالها
يستحق التأنيب، يا إلهي لا تعدها..
على المرأة المسكينة أخطاء، فهي حبلى،
بسيئات الرجل، ذلك السيد المالك المتكبر، هو مَن يلام،
جاعل المرأة الضعيفة الكيان تقطن داره.. دار الخزي والعار.

١٨١/١٢٦١ على وجه لوكريس كان واضحا المثال،
وقد هاجمها الليل في سيئ الأحوال،
توحي بموتٍ عاجلٍ، قد ينشئ العار،
ويسيء لزوجها هذا الانتحار،
كارثة مشينة وجب عليها مقاومتها،
وانتشر خوفٌ مريع في كل جسدها،
جثة هامدة، فمَنْ لا يسيء معاملتها؟

١٨٢/١٢٦٨ وهنا الصبرُ الجميل بالتحدث يأمرها،
إلى الصُّورَةِ الْمَسْكينَةِ لِشَكْواها،
قالت: " فتاتي: لأي سبب منك الدموع
تنهمر،
على وجنتيك مثل المطر؟
إن كان بكاؤك حزنا على شجونٍ أتحملها،
فاعلمي رقيقتي، لا يفيد مع حالتي بحزنها،
ولو تنفع الدموع، لأصلحت من حالي.
١٨٣/١٢٧٥ أخبريني فتاتي، متى ذهب .. وهنا توقفت،
أنَّتْ بِعُمْقٍ ثمَّ واصلتْ.. " تاركوين من هنا"؟
"قبل أن أستيقظ سيدتي" أجابت،
اللوم على إهمالي وكسلي، أخطأت،
خطأ لا أجد له تبرير،
قبل بزوغ الصباح استيقظت،
ولَّى تاركوين ولم أكن من نومي نهضت.

١٨٤/١٢٨٢ سيدتي .. لو اعْتَبَرْتِ تِلكَ جرْأةً مِن خادِمَتِك،

فهل لي أن أعلم السبب وراء حزنك؟

"يا إلهي" قالت لوكريس.. إذا قُدِّر لأمري أن يُحكى،

فلن تخفف حكايته من سوءه،

فهو أعظم من قدرتي على التعبير عنه،

قد يسمًى عذابي العميق جحيما،

حين يفوقُ الإحساس قدرتنا على الإفصاح.

١٨٥/١٢٨٩ هاتِ الورق والحبر والقلم لي،

كلا استريحي .. فمنها هنا عندي،

ماذا أقول؟ ابلغي أحدَ رِجالِ زَوْجي ،

يَجْهَزَ عَلَى الْفَوْرِ، لِيَحْمِلَ بَريدي،

إلى حبيبي وروحي سَيِّدي

على جناح السرعة،

الرسالة ستكتب حالا، الأمر يتطلب العجلة،

١٨٦/١٢٩٦ انصرفت الخادمة، وللكتابة استعدت،
بداية، فوق الورقة بريشتها حلقت،
الأفكار والأحزان بشراسة تصارعت،
ما خَطَّ الْعَقْلُ شَيْئًا، إلا على الفور العاطفة
محت،
هذا منسق مرتب العبارات، وخرقاء بالإساءة
مُلئت،
جمهرة من البشر وقفت على بابها تزدحم،
على مخيلتها، أيهم أولاً يقتحم .
١٨٧/١٣٠٣ وأخيرا بدأت تسطر هكذا: أيها السيد
الموقر،
لزوجة غير موقرة، إليك التحية ترسل،
تدعو بموفور الصحة لك، وبعد .. فلتتعطف
وتمنح،
إذ كنت لرؤية لوكريس يا حبيبي تطمح.
فلتسرع في القدوم .. تزورني،

حزينة في بيتنا، تذكرني،

فأحزاني طويلة مؤلمة، وقصيرة كلمتي.

١٨٨/١٣١٠ وَهُنا طَوَتْ خُلاصَةَ أوْجاعِها،

أحْزانَها الحقيقيةكَتَبَتْ بِغُموضٍ عَنْها،

ومن الإيجاز والقصر قد يبصر كولاتين

حزنها،

وليس طبيعة المآسي على حقيقتها

لأن الحقيقة لم تجرؤ على كشفها،

مخافة أن يظن أنها للخطيئة سببها،

وقبل أن تلطخه بالدم، السبب المخزي

لعارها.

١٨٩/١٣١٧ تدخر قوة وثورة مشاعرها،

حتى إذا اقترب منها يسمعها تُبددها

حين يجمّل الدموع والأحزان والآهات مظهر

خزيها،

وهذا سيكون أفضل لتبرئتها،

من شك قد يساور الناس حولها،
ورطة لتفاديها، لن تشوه رسالتها،
بالكلمات، حتى تدلل بالأفعال بصورة أفضل
عليها.

١٩٠/١٣٢٤ المشاهدة أكثر تأثيرا من السمع لمناظر الحزن،
عندها تقوم العين بالتفسير للأذن،
ما تشاهده من حزين الخطوب،
لكل عضو في الجسد من الأحزان نصيب،
وما نسمعه جزء فقط من الأنات،
الماء في الأعماق أقل ضجة من المسطحات،
وبحر الأحزان، تبدده رياح الكلمات.

١٩١/١٣٣١ كتبت على رسالتها، بالشمع مغلقة،
إلى (أرديا) إلى سيدي على جناح السرعة الفائقة،
سلمت للرسول المنتظر الرسالة،
وجهه صارم، أمرته بالانطلاق بسرعة

كطيور قبيل هبوب رياح الشمال مهاجرة
متكاسلة،
سرعتها تفوق المعتاد، وتعدها بطيئة مملة،
وغير الاعتيادي تستحضره الأمور الطارئة
العاجلة.

١٣٣٨/١٩٢ وانحنى لها الخادم البسيط طاعةً،
خجلاً يتورد وجهه، بعيون جامدة متطلعًا،
لم يرجع كلمة، للرسالة مستلمًا،
ببراءة مستحيا انطلق مسرعًا،
من يحمل في صدره ذنبًا،
يظن كل عين لخطئه شاهدةً
كذا لوكريس، ظننته شاهد عارها، فتورد
حياءً.

١٣٤٥/١٩٣ بل يعلم الله أن خادمها البسيط تكمن علته،
في روحه وحياته وجرأته ،
يمتاز هؤلاء الخلق المساكين بعناية حقيقية..

بالتعبير عن ذواتهم بالفعل لا بالقول،
وغيرهم بوقاحة..
يعِدون على الفور، ويفعلون على مهل،
هذا مثال إخلاص الخدمة في الأزمان
الغابرة،
حيث النظرات الصادقة رهن طاعتهم، وليست الكلمات.
١٣٥٢/١٩٤ أضرمتْ طاعتُهُ العمياء نار ظنونها،
واستعرت جمرتان حمراوان على الوجهين،
فظنت أن الحياء ورَّدها، إذ علم شبق تاركوين
،
فتوردتْ خجلة معه، وفي عينيه حدقت بإمعان،
وزادت من ذهوله وارتباكه عيناها الجادتان،
وكلما رأت وجنتيه بالدماء تمتلئان،
تيقنتْ أنه شاهد في وجهها وصمة العار.
١٣٥٩/١٩٥ وظنت أن عودته ستكون بعد طول زمن،
هذا والخادم المطيع لم يكد يرحل،

ووقتها الثقيل المرهق لا تقدر أن تشغل،
فالبكاء والآهات والأنين الآن لا يفيد،
وهكذا أرهقتْ الأحزان الأحزان، وأجهد النحيب النحيب،
حتى توقفت برهة عن الشكوى والأنين،
تتمهل لتجد لأحزانها في التعبير سبيل.

١٩٦/١٣٦٦ وأخيرًا تنبهتْ لمكان عُلِّقتْ عليه صورة،
تظهر مهارة الرسم، تصور برايم طروادة[١]،
وجيش الإغريق في الخلف يصطفون،
لاغتصاب هيلين[٢] المدينة سيدمرون،
طروادة[٣] ذات الأبراج العالية، بالدمار يهدمون،
والتي برع الفنان في تصويرها بكبرياء..
فبدت وكأنها تنحني لتقبيل أبراجها السماء.

١٩٧/١٣٧٣ الأشياء المحزنة هناك ما أكثرها،

---

[١] هو ملك طروادة أثناء الحرب.
[٢] أميرة "سبارطة" وزوجة الملك "نيوليس" والتي كان هروبها السبب في نشوب الحرب.
[٣] في الإنجليزية (ILION) وترمز إلى مدينة طروادة ذات ابراج العالية.

تُباري وتَتَحدّى الطبيعة، مواتّ الفن أحياها،
قطرات يابسة كثيرة دموع البكاء صورتها،
ذرفتها الزوجة على القتيل.. زوجها،
تجسدُ عناءَ الرّسام فوحُ الدماء الحمراء ..
رائحتها،
وبأضوائها الرّمادية تشع العيون الموات
وميضها،
كحطب خامد محترق في ليالي طويلة لثقلها.

١٩٨/١٣٨٠ حفار الخنادق المنهك، هناك تراه،
متجهم وجهه من العرق، والغبار يكسوه،
وهناك تبرز من أبراج طروادة،
من خلال فتحات الرّمي عيونُ الرجال ،
يحدقون في الإغريق بقليل من السعادة،
وينمُّ العمل عن رسامٍ دقيق الملاحظة لمَّاح
حتى ليرى الشخص تلك العيون البعيدة كساها الحزن،

١٩٩/١٣٨٧ تلمح في القادة العظام جلالا،

على وجوههم يرتسم الانتصار،

وفي الشباب سلوكا نشطا ومهارة،

وهنا وهناك يمزج الرسام،

جبناء يعلوهم الشحوب، وبخطى مترنحة

يسيرون مثلهم كمثل جبناء الفلاحين

حتى يقسم المرء أنه شاهدهم يرتجفون

١٣٩٤/٢٠٠ أما " أجاكس "[1] و "يوليوس "[2] فيا لا روعة الفن،

يستطيع أن يلحظ أي متمعن،

يعبر وجه أيهما عن قلبه،

أجمل تعبير عن سلوكهما تؤديه الوجوه،

ففي عيون "أجاكس" ثورة متبلدة ، قوة نابضة،

و"يوليوس" الماكر، يمنح نظرة لطيفة،

وابتسامة تنم عن تروي وتعقل وحكمة.

---

[1] محارب إغريقي في حرب طروادة.

[2] أحد قادة الإغريق في حرب طروادة.

الجزء الخامس

" تحرير الروح وروما "



٢٠١/١٤٠١ وهذا نستور [١] الوقور منتصبا يخطب،

وكأنه يحث الإغريق على الحرب،

وبيديه حركات حاسمة يؤديها،

[١] " نستور" كلمة لاتينية تعني المرشد الحكيم المتقدم في السن، وقدمه هومر أو (هوميروس) على أنه أمير حكيم معتدل، وكان محط احترام الآلهة والناس.

تلفت الانتباه، والأبصار تسحرها،

وكبياض الفضة بادية أثناء الحديث ذقنه،

تعلو وتهبط، وتتطاير من بين شفته

أنفاسا رقيقة متعرجة، عاليا إلى السماء متجهة.

٢٠٢/١٤٠٨ تلتف حوله زمرة من الوجوه، أفواهها فاغرة،

وكأنها تلتهم نصائحه السديدة .. ظاهرة،

تجمعوا منصتين، و شتى مواقفهم ،

وكأن جِنّــيَّةً فتنتْ آذانهم،

منهم طويلٌ وقُصُرٌ، دَقيقًا لِلْغايَةِ مَنْ رَسَمَ،

العديد منهم حُجِبت في الخلف رؤوسهم،

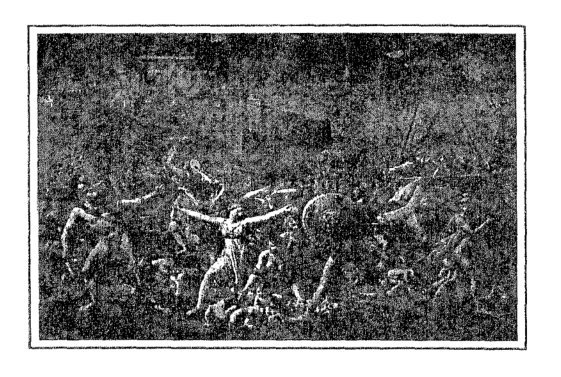
ومن يقفز عاليا، بدا الرسام ساخرا من المشاهدين ... عقولهم.

٢٠٣/١٤١٥ وهنا رَأسُ رجلٍ تميل يدُ آخر عليها،

وأنفُهُ أُذنُ جارِهِ تحجبها،

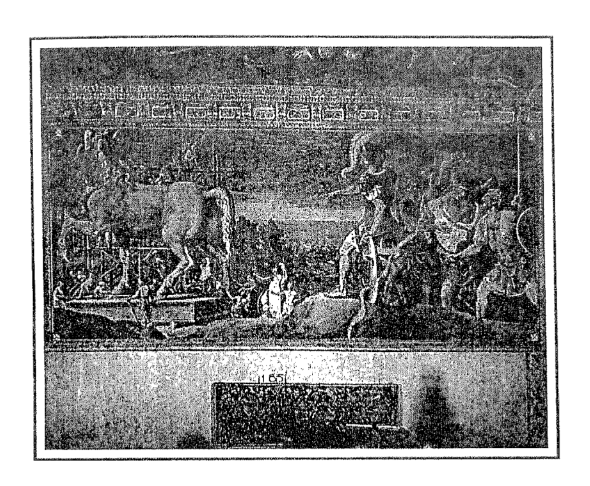
وهنا شخص اعتصره الزحام، يتراجع بوجهٍ أحمر متورم،

وغيره شبه مختنق، موبخًا، غاضبا يلعنُ،
عليهم علامات حنق في ثورتهم بادية،
ولولا فقدانهم كلمات " نستور " الذهبية،
لتقاتلوا بالسيوف الغاضبة.



٢٠٤/١٤٢٢ هذا عملٌ رائعٌ، صنعةُ الخيال،
أسلوبٌ شائقٌ موجزٌ طبيعيٌ دون افتعال،

تراه في صورة " آخيل "[1] انتصب رمحه،
محكومًا بقبضة مصفحة، أمَّا هُوَ نَفْسَه،
فلا يُرى في الخلف، إلا بعين العقل:
يد ووجه وساق ورأس ورِجْل،
باقية هناك ، يمكن تصورها كَكُل.



[1] والد " بيرس " والمحارب العظيم في إلياذة هومر.

١٤٢٩/٢٠٥ مدينة " طروادة " المحاصرة بقوة وعند السور،

حين تقدم الأمل الشجاع " هكتور "[١] الجسور،

وقف الكثير من أمهات المدينة تشاركن الفرحة،

بمشاهدة أبنائهن الشباب حاملين أسلحتهم البراقة،

وهكذا أذعنوا لأملهم بانفعالات مفرطة،

حتى بَدَوْنَ من خلال خِفَّةِ الحبور،

كأشياء براقة لطخها شيء من الخوف الثقيل.

١٤٣٦/٢٠٦ ومن حيث كان تقاتلهم عند شاطئ " داردان "

إلى ضفاف " سيموس "[٢] العشبية، الدماء الحمراء جرت،

وأمواجها كي تقلد الحرب جدَّت..

بقممها العريضة، وصفوفها استهلت،

وعلى الشاطئ المتآكل تحطمت،

ثمَّ تراجعت مرة أخرى لتلاقي صفوفا أعظم،

---

[١] بطل " طروادة " وأحد أبطال الإلياذة، وهو ابن الملك " برايم " والخصم الرئيس لـ " أخيل ".

[٢] نهر بالقرب من طروادة.

وتلقي بزبدها على ضفاف "سيموس" وتلتحم.

٢٠٧/١٤٤٣ لوكريس إلى هذه الصورة المتقنة أتتْ،
كل الأحزان مرسومة في وجهٍ، وجدتْ،
وجوها عديدة، وقد نحتَ الهمُّ بعضها، شاهدتْ،
ولم ترى وجهاً فيه كل هذه الأحزان والمآسي سكنتْ،
حتى شاهدتْ " هيكوبا "[1] وقد يئستْ،
وهي تحدقُ في جروح (برايم) بعيونٍ ذَبُلَتْ،
تنزف تحت كبرياء أقدام " باريوس "[2] ، حيث رقدتْ.

٢٠٨/١٤٥٠ شرح الرّسام حُطامَ الزَّمَنِ في صورَتِها
وضَياعَ الْجَمالِ، كَآبةَ الْهُمومِ.. سيطرتها،
تشققات وتجاعيد تشوه وجنتيها،
ولم يتبقى شيءٌ يُذكر من أصل نُسْخَتِها،
دماؤها الزرقاء إلى الأسود تحولت في كل عروقها،
تنقصها النضارة التي لتلك العروق غذَّتْ ،
وتظهر الحياة حبيسة في جسد ميّت.

---

[1] ملكة طروادة ، زوجة الملك " برايم ".
[2] ابن " أخيل " يتصف بالخشونة، وكان القائد أثناء معركة طروادة، وهو الذي قتل الملك " برايم ".

٢٠٩/ ١٤٥٧ في الصورة الحزينة، لوكريس لعينيها أجهدتْ،

وأحزانها على أوجاع العجوز أسقطتْ،

وليس من مجيب سوى الصرخات،

ومر الكلمات ، تُنزل على أعداءها الغلاظ اللعنات:

ليس الرسامُ إلهًا، فيعيرهم لها،

ولذلك أقسمت لوكريس أنَه قد أساء إليها،

إذ كم من الأحزان بلا لسان منحها.

٢١٠/ ١٤٦٤ قالت: " أيتها الصورة فاقدة النطق"

سأترنم بأوجاعك، بلساني الناعي،

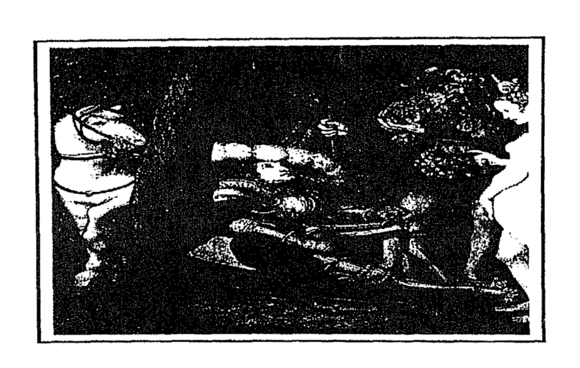
وأضع في جرح " برايم " المرسوم بلسما حالي،

واللعنة على " باريوس " الذي أساء إليه،

سأطفئ طروادة المحترقة منذ أمد بدمعي،

وأجرِّح تلك العيون الغاضبة بسكيني،

لهؤلاء الإغريق أعداؤكِ الكُلِّ.



١٤٧١/٢١١ أرني تلك العاهرة التي كانت السبب
وراء هذا القتال، في حسنها أظافري أنْشِب!
" باريس " أيها الأحمق: حمى رغبتك تسببتْ،
في حَنق ثقيلٍ، وطروادة المحترقة تحملتْ،
النيران المشتعلة هناك والتي عيناك أضْرَمَتْ،
هنا في طروادة، لَمَّا عيناك تَعَدَّتْ،
قضى الأب والابن والابنة، والزوجة ماتَتْ.
١٤٧٨/٢١٢ ولماذا المتعة الخاصة لشخص ما،

تصير على معظم الناس عموم البلا ؟

دع خطيئةً اقترفها فرد، تسقط ليس إلا،

على رأس مَن أساء،

ولتتحرر من آلام الذنوب أرواح الأبرياء.

لمعاقبة مرتكب الأخطاء،

يسقط الكثير، ويحل بالشعب الوباء؟



١٤٨٥/٢١٣ وانظر: هنا يموت "برايم" ، وهنا "هيكوبا" تَدْمَع،

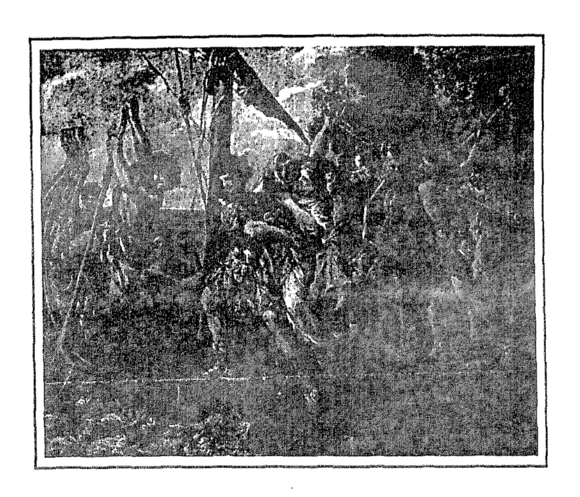
وهنا يغيب "تريليوس"[1] عن الوعي، وهنا يَضْعَفُ هِكتور الأشجع،
والصديق بجوار الصديق في بحر الدماء يرقد،
وصديقٌ يَجْرَحُ صَديقًا غَيْرَ مُتَعَمِّد،
كل تلك الأرواح اجتثتها شهوة رجل أوْحَد،
ولو وضع "برايم" الخرف لرغبة ابنه حدًا،
لتألقت بشهرتها لا بنارِها طروادة.
٢١٤/ ١٤٩٢ تبكي الآن على أحزان طروادة المرسومة بِحَق،
فالحزن مثل جَرَسٍ ثَقيلٍ مُعَلَّق،
ما إِنْ يَبْدَء في الرَّنين، رَغْمَ ثِقَلِهِ يَنْطَلِق،
و بهوانٍ يُعْلِنُ عَنْ انتهاء رنات حُزْنِ النَّاقوس.
وهكذا بدأت مهمتها لوكريس،
وراحتْ تحكي للكآبة والحزن المرسومان حكايات،
تستعير منهم النظرات، وتعيرهم الكلمات.

[1] أحد أمراء طروادة، ابن الملك برايم والملكة هيكوبا.

٢١٥/ ١٤٩٩ في أرجاء اللوحة المرسومة ألقت نظرة،
تندب من أجل كل يائس تنظره،
وأخيرا صورة بائس في المقدمة جلية المعالم شاهدت،
تعير نظرات شفقة لرعاة " فيرجينا [١] " كانت،
ووجهه رغم أنه مليئًا بالهموم، علامات الرضا عليه بانت،
تقدم نحو طروادة مع الفلاحين البسطاء
بدا معتدل المزاج، حتى أن قوة صبره بدت وكأنها تستخف بأحزانه .
٢١٦/ ١٥٠٦ اجتهد الرسام بمهارة في رسمه وإبداع،
ليمنح مظهر البراءة ويخفي الخداع،
خطوة متواضعة ، ونظرة هادئة، وعين دائمة النواح،
يبدي ترحيبا بالأحزان جبينه الوضاح،
وجنات ليست حمراء ولا بيضاء شاحبة، بل من هذا وذاك مثال
ولم يعط التورد أي علامة للذنوب،

[١] وهم إحدى أبناء "فيرجينيا" القديمة بآسيا الصغرى.

ولا الخوف قاطن القلوب الزائفة بياض الشحوب.



٢١٧/ ١٥١٣ ولكنة واثق عاقد العزم مثل الشيطان،
مرتديا ليبدو صادقا رداء البهتان،
أخفى في نفسه شر قابع دفين،
حتى الشك ذاته لا يسيء به الظنون،

بأن الدهاء الزاحف الزائف والحنث يقذفان،
عواصف سوداء في يوم ساطع، أو تدنسان،
بخطيئة في الجحيم ولدت لقدسية الأشكال السماوية مثال.
٢١٨/ ١٥٢٠ هذه الصورة المعتدلة رسمها الفنان البارع،
لسينون الحانث والذي بسبب قَصَصِهِ الساحر الخادع،
سقط برايم العجوز واصطرع،
كلماته كنيران الإغريق حرقت المجد الساطع،
حتى أسفت السماوات وحزنت على أيلون وبنيانها الرائع،
وانطلقت حين سقطت مرآتهم من ثبات المواضع،
النجوم الصغيرة، التي كانت وجوههم فيها تُطالع .
٢١٩/ ١٥٢٧ بتمهل وروية لهذه الصورة تفحصت،
والرسام على براعته الفائقة وبخت،
شخص آخر شُبِّهَ "بسينون"... هكذا ادعت،
فوجه جميل لا يحمل عقلا شريرًا، أوجبتْ،
وفي التحديق به مرارًا وتكرارًا استمرت،
وعلامات الأمانة على وجهه شاهدت،

وفي النهاية، لزيف الصورة توصلت.

٢٢٠/ ١٥٣٤ "لا يمكن أن يكون كل هذا الخداع" ...
قالت،

و" يمكن أن يكمن في نظرة كهذه" هكذا ودت،
إلا أن صورة "تاركوين" في الوقت نفسه ببالها خطرت،
ومن على طرف لسانها "يمكن أن يكمن" من "لا يمكن"
أخذتْ،
وعبارة "يمكن أن يكمن" بهذا المعنى هجرتْ،
وعلى صورة " لا يمكن أن يكون" أبدلتها،
واكتشفتْ لَمثل تلك الوجوه إلا وتحمل عقلا شريرا بداخلها.

١٥٤١/٢٢١ ومثلما رُسِمَ هنا بمهارة الماكرُ سينون،
مرهقًا وسيمًا، للغاية مهمومًا،
وكأنه فاقدٌ للوعي بفعل الحزن وعناء المسير،
بالصورة ذاتها زار مخيلتي مسلحًا مخادعًا تاركوين،
مرسومٌ على وجهه الخارجي الأمانة والصدق، مدنسين،
برذائل داخلية. وبدفءٍ برايم به رحَّب،

وبتاركوين رحَّبتُ أنا، وهكذا طروادتي دُمِّرتْ.

٢٢٢/ ١٥٤٨ انظر ... انظر كيف يصغي برايم وعيناه غارقة،

يشاهد سينون يزرف دموعا زائفة،

برايم، لماذا تفتقر إلى الحكمة وأنت شيخًا؟

فكل دمعة يزرفها يدمي من أهالي طروادة بها أحدًا،

فعيناه صبابة النار، والماء لا ينبع منها،

تحرك شفقتك قطرات كروية متلألئة صافية منه نابعة،

لتحرق مدينتك كرات النار غير المنطفئة،

٢٢٣/١٥٥٥ تلك الشياطين قوتها من الجحيم الخامد تستمد،

وسينون وسط نيرانه من البرد يرتعد،

وفي هذه البرودة تكمن نيرانٌ، سعيرها يشتد،

تلك المتناقضات تحمل بين طياتها وحدة،

فقط لمداهنة الحمقى ودفعهم على الجرأة،

فتملقت دموع سينون الزائفة برايم ... ثقته،

حتى وجد الوسيلة ليحرق بالمياه طروادته.

٢٢٤/١٥٦٢ وهنا انتابتها نوبة غضب شديدة و بعنف هاجمتها،

فلم يتحمل الصبر البقاء بين ضلوعها،

ومزقت سينون بليد المشاعر بأظافرها،

وقارنته بالتعس الجالب للأحزان ضيفها،

والذي بفعلته جعلها كارهة تمقت ذاتها،

وأخيرا توقفت متفوهة بهذه الكلمات ، متبسمة،

حمقاء، حمقاء قالت " إن جروحه لن تكون مؤلمة ".

٢٢٥/١٥٦٩ بين المد والجزر كان تيار أحزانها،

والوقت يبلي الوقت بشكواها،

وتطلعت لليل ، وأبدت للصباح اشتياقها،

ظننت أن كليهما أطال البقاء معها،

فيا طول خطى الأوقات القصيرة، إذ قسوة الهموم تحملها،



ونادرًا ما تنام الأحزان رغم ثقلها،

والساهرون يرون الأوقات بطيئة في زحفها.

٢٢٦/ ١٥٧٦ وعن حالتها بمرور الوقت غفلت،

فمع الرسومات استغرقت،

حالتها من الحزن الشديد تذكرت،

لما بعمق في صور هموم الآخرين تأملت،
وهمومها في مشاهد الحزن تلك فقدت،
أراحت بعضًا، ولا واحد منهم شفت،
حين يحمل همومهم الآخرون، وبهذا زعمت.
٢٢٧/ ١٥٨٣ والآن عاد نشيط الرسل،
بصحبته سيده ورهطه للمنزل،
حبيبته لوكريس متشحة حزن السواد وجدها،
والدموع لطخت عينيها، وحولها،
تنساب دوائر زرقاء، كقوس قزح في السماء،
كعتمة في السماء منه أجزاء،
لها بعواصف جديدة غير منتهية إنباء.

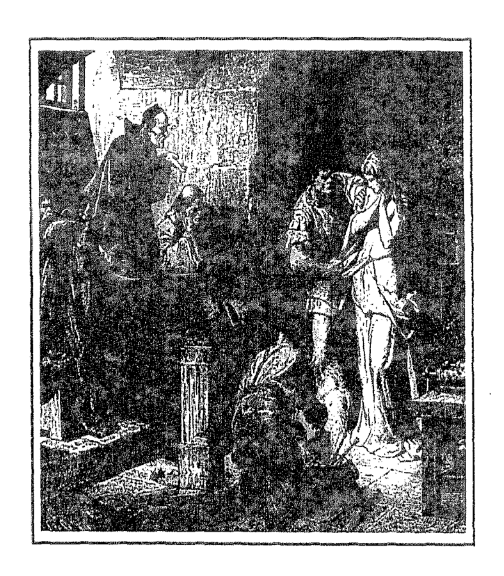


٢٢٨/ ١٥٩٠ حين رأى صورتها الحزينة زوجها،
حدق بذهول في الحزين وجهها،
ورغم غرقها في الدموع، بدت حمراء فاترة عيناها،
وبشرتها المفعمة بالحياة، الهموم الفاتكة صرعتها،
لم يمتلك قدرة أو شجاعة للسؤال عن حالتها،
فكلاهما كأصدقاء من قدمٍ، في ذهول وغيبوبة وقفا،
تقابلا بعيدًا عن الوطن، ومن هول المفاجأة تعجبا.
٢٢٩/ ١٥٩٧ وأخيرًا من يدها الباردة أخذها،
بدأ : ما هذا الحدث الغريب المشين،

أحل بك، وجعلك هكذا مرتعدة تقفين؟
حبيبتي الغالية أي ضيف بطلعتك البهية أطاح؟
ولماذا تتخذين من لباس الحزن وشاح؟
حبيبي الغالي كن للحزن الكئيب فضاح،
وأخبريني بأحزانك حتى نجد لها إصلاح .
٢٣٠/ ١٦٠٤ فتحت نيران همومها بتنهدها ثلاث مرات،
قبل التفوه مرة واحدة عن أحزانها بالكلمات،
ولتلبية رغبته شرعت،
وباحتشام لتعلمهم استعدت،
أن شرفها العدو سباه،
بينما كولاتين وصاحباه،
متشوقين لسماع كلماتها بانتباه.
٢٣١/ ١٦١١ شرعت من عشها المائي البجعة[١] الشاحبة،
ترنيمتها الحزينة تنبئ عن نهايتها المكتوبة،
قالت " كلمات قليلة " ستتلاءم والكبيرة،

[١] يشبه شكسبير لوكريس بالبجعة، مستفيدا من اعتقاد سائد في هذا العصر يزعم بأن البجعة تغني بشكل جميل عند موتها.

حيث لا عذر يداوي الرذيلة،
أحزان بداخلي لا قِبَلَ للكلمات ومعانيها بها،
وهمومي يا طول زمان تستغرق،
إذا ما أخبرتهم بلسان بائس مرهق.



٢٣٢/ ١٦١٨ وكل ما يجب عليّ قوله هو:
زوجي العزيز ، جاء مدعيًا لفراشك ملكيته،
غريبًا، رقد على الوسادة،
حيث اعتدت تُسْكِن رأسك المجهدة،
لك أن تتخيل، أي اعتداء آخر،
يمكن حدوثه لي بالإكراه المحتقر،
ولذا للأسف لوكريس حبيبتك للحرية تفتقر.

٢٣٣/ ١٦٢٥ حضر في منتصف الليل الساكن المظلم المفزع ،
لغرفتي بسيفه المعقوف اللامع،
مخلوق متوهج ضوئه يتسلل،
وصاح برقة " أيتها السيدة الرومانية أفيقي "
وتلقي حبي ، وإلا فالعار الأبدي،
سأنزله عليك وعلى ليلتك،
إذا ما قابل رغبة حبي رفضك.

٢٣٤/ ١٦٣٢ وقال " أي خادم قبيح لديك،

أقتله في التو وأذبحك،
إذا لم توافق رغبتي مشيئتك،
وأقسم أنني وجدتك،
تشبعين معه القبيحة شهوتك،
وأكون للداعرين متلبسين بجرمهم القاتل،
وفعلتي ستصبح صيتي الذائع، وخزيك الدائم.
٢٣٥/ ١٦٣٩ بدأت هنا البكاء والصراخ
وعندئذ وضع على قلبي سيفه،
وأقْسَم ، إن لم أصبر على الأمر وأتحمله،
لن أحيا بعد لأنطق بكلمة،
وفي التاريخ عاري مدونًا،
ومن ذاكرة روما العظيمة لن يمحى أبدًا،
موت لوكريس وخادمها، زانية.
٢٣٦/ ١٦٤٦ أنا وعدوي، مسكينة واهنة وقويًا،
بسبب الخوف الرهيب صرتُ أوهن،
وأخرس لساني عن الحديث قاضي السفاح،

وطالبُ حق يُدافعُ عَنْ الْعدالة غيرُ متاح،
فشهوته المؤججة تمده بالبرهان،
ليقسم بأن عيناه سحرها جمالي المسكين،
وحين يُفْتَنُ القاضي، يموت السجين.
٢٣٧/ ١٦٥٣ يا إلهي ، علمني كيف أختلق عذرا لي،
أو حتى هذا الملاذ[١] دعني أجده،
ورغم ثقل دمي الملطخ بهذه الإساءة،
فعقلي طاهر بلا دنس،
فهو لم يقهر، ولم يمل أبدا،
للرضوخ المذنب ، وما زال نقيا،
صامدا في مسكنه[٢] المسمم.
٢٣٨/ ١٦٦٠ وانظر، كتاجر غاضب مُنِيَ بخسارة،
بصوت أعاقته الهموم، برأس مُنْحَنِيَة،
بعيون غاربة حزينة، وأذرع يائسة مَطْوِيَّة،
ومن شفاه تحولت شاحبة للتوّ بدأت تبدد،

---

[١] المقصود العذر الذي طلبته في السطر السابق.
[٢] المقصود جسدها.

الأحزان التي أوقفت إجابته هكذا وتبعد،
ولكنه بائسًا حاول بلا جدوى يجتهد،
فكان يبتلع أنفاسه ثانية والتي أصدرها التنهد.
٢٣٩/ ١٦٦٧ وكالمد تحت قبو الجسور بصخبه وقوته،
يفوق سرعة العين الناظرة لعجلته،
وكأنه في دوامة بكبرياء كانت قفزته،
ثانية إلى المضيق يجبره في سرعة يطوي،
يرسله بثورة غضب، يرده بعنف حين يمضي،
هكذا تنهيداته، وأحزانه ترنحه،
تدفع الهمومَ أمامًا، وللوراء ثانية تجذبه.
٢٤٠/ ١٦٧٤ لأحزانه الصامتة لوكريس المسكينة أصغت،
ولنوبة شروده وهياجه غير المواتية تنبهت،
"سيدي العزيز" إن حزنك لحزني همًا تزيد،
ولا تقل مياه البحر بالأمطار،
وأحزاني تمنح أحزانك من العنفوان المزيد،
وأشعر بآلامها أكثر ، فيكفينا ،

حزنٌ واحد نقسمه على زوج من العيون الباكية.

١٦٨١/٢٤١ مِن أجلي أنا بصورة الطُّهْرِ والنَّقاءِ ساحِرَتُك،
لأَنَّ لوكريس تَحْضرُني الآن، مَنْ كانتْ حَبيبَتُك،
مِن عَدُوِّي سَريعًا لِيَكُنْ انْتِقامَك،
عَدُوُّكَ وعَدُوِّي عَدُوٌّ نفسه ، وَهَبْ أَنَّكَ عَنِي دافَعْت،
عن صورة في الماضي كنت، فللغاية متأخرة أنتْ،
مساعدتك التي لي أعرت، لا ضير، أذق الخائن الموت
فالظلم ينمو ويتجرأ إذ العدالة تساهلتْ.

١٦٨٨/٢٤٢ أيها السادة الكرام، قبل أن أنطق اسمه، قالت،
موجهة حديثها لجماعة برفقة كولاتاين جاءت،
طلبت عهد صدق وشرف يقطعون،
و لإساءتي بأقصى سرعة تنتقمون،
فهذا تصميم عادل مستحق،
أن نتعقب بأذرع الانتقام غير الحق،
وعلى الفرسان بأيْمانهم لإساءة السيدات المسكينات
يصوبون.

١٦٩٥/٢٤٣ وعند هذا الطلب ، وبنبل السمات،
أعطى السادة الحضور الوعد
بمساعدتها كما في الفروسية من عهد،
كانوا لسماع اسم العدو الكريه مشتاقين،
ولكنهالم تنتهي بعد من حديثها الحزين،
تُوقِفُ القرار قائلةً: "يا إلهي _ تكلموا " ،
كيف تُمْحَى وأتطهر منها، تلك الوصمة التي عليها أُجبرتُ؟
١٧٠٢/٢٤٤ وما لذنبي من طبيعة،
تحت ظروفٍ مُروِّعَة كنتُ ولا مناص ؟
وهل لعقلي الطاهر من هذه الفعلة المهينة خلاص ؟
وهل يرقى ثانية من الحضيض شرفي ؟
وهل من هذه الفعلة يمكن لأي كلمات أن تبرئني؟
النافورة المسممة تعاود تنظيف نفسها، ولما لا أفعل أنا
بوصمتي التي أجبرتُ عليها ؟
١٧٠٩/٢٤٥ وهنا على الفور راح الجمع يقول:
إنَّ وصمةَ جسدها بعقلها النقي تزول،

وبابتسامة لا توحي ببهجة بوجهها تستدير،
صورة تحمل عمقَ التأثير،
من مصاب جلل داخله بالدمع محفور،
قالت: " لا ... لا " لن تعيش سيدة بعدي،
تقتدي بفعلتي ، متذرعة بذريعتي.
١٧١٦/٢٤٦ وكأن قلبها سينفطر تنهدتْ،
وألقت على عجلٍ اسم تاركوين : " هو ، هو " .. قالتْ
وأكثر من " هو " عجز لسانها المسكين ولم يزد،
إلا بعد أصوات شجن وتمهل وتنهد،
في غير وقتها وقصيرة مضنية المحاولات،
قالتْ: " هو ... هو كرام السادات،
ليوجه الجرح لي أرشد هذه اليد.



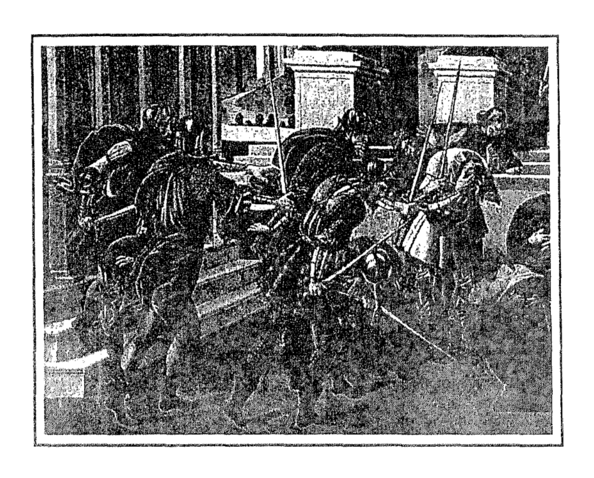
١٧٢٣/٢٤٧ وغمدتْ هنا في البريء صدرها ،
سكينًا رديئةً ، استلت روحها،
بضربة دفعت ثمن سراحها،
من القلق العميق، من تلوثٍ حيث تتنفس ... سجنها،

وتنهيداتها الحزينة النادمة أورثت للسحب الروح

بجناحيها،

وانطلقت طائرة خلال جروحها،

مبتعدة عن فناء حياة الأرض إلى أبد الحياة.



٢٤٨/١٧٣٠ وفي صمت كالحجر، وذهول الحدث المميت،
وقف كولاتاين وصحبته من الملأ،
وارتمى والدها، مَن رأى سيل دمائها ،
بنفسه على جسدها المذبوح بيدها،
وسحب "بروتس"[١] السكين القاتل،
من النافورة المخضبة، وبينما المكان تغادر،
تعقبتها دماؤها بيأس الثائر .
٢٤٩/١٧٣٧ تتدفق الدماء فقاعات من صدرها ،
بطيئة إلى نهرين انقسمت، والقرمزي دمها،
من كل صوب يحيط بجسدها،
وتقف كجزيرة منبوذة نُهِبَت لتوها،
عارية مهجورة في هذا المريع بحرها،
طاهرا أحمر ولا يزال بعض من دمائها،
وأسود لطخه تاركوين الزائف بدا بعضها.

[١] وهو " لوسيس جونيس بروتس "، والذي قتل أخاهُ والدُ تاركوين (الملك) في هذه القصيدة

١٧٤٤/٢٥٠ وحول الوجه الحزين والمتخثر لهذه الدماء السوداء،

دارت حافة من ماء،

كان لها على المكان الملطخ بكاء،

وكأنها تُشفق على أحزان لوكريس,

ويُظهر علامات مائية الفاسدُ من الدماء،

وغيرُ الملطخة من الدماء بقيتْ ولا تزال حمراء،

وتتورد على الذي تجمد حياء.

١٧٥١/٢٥١ لوكريشيس العجوز " ابنتي ، ابنتي العزيزة " يصيح،

ملكي كانت ما أهدرتها ... تلك الروح،

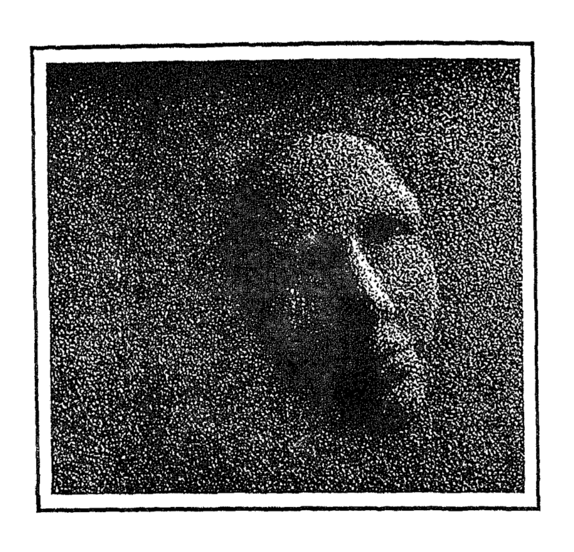
وإن كانت صورة الأب في طفله تحيا،

ولوكريس ماتت، فأين أحيا؟

فأنا لم أجلبك لهذا المصير تلاقين،

وإذا كان الأطفال قبل آبائهم يموتون،

فنحن ذريتهم ، وهم إلينا لا ينتمون.



٢٥٢/١٧٥٨ أيتها المرأة المكسورة ، كم أطلتُ النظر إليك،

وُلِدَتْ شيخوختي ثانيةً على جمال شاكلتك،

والآن مُعتمة عجوز، المرآة الجميلة النضرة صارتْ،

وهيكلٌ عظميٌّ عاريّ أبلاه الزمن لي ظهرتْ،
يا إلهي ، صورتي من على الوجنتين مزَّقتْ،
وكل جمال مرآتي دمَّرتْ،
حتى أنني لم أعد أرى نفسي فيها كما مِن قبل رأيت!
٢٥٣/١٧٦٥ أيها الزمن: توقف عن السير، ولا تدم أكثر،
إذا ما قَضَى مَنْ هُم أَحَقُّ بالبَقاء !
هل سينتصر الموتُ البغيض على الأقوياء،
ويترك الأرواح الضعيفة المتخبطة أَحْياء؟
فَكِبار النَّحْلِ يَموت ، ويسيطر على الخلية الصغار،
فَلْتَحْيي لوكريس الحلوة، لِتَحْيي للمشهد الأخير،
موتِ والدِك ، ولا يراك والدُكِ تموتين !
٢٥٤/١٧٧٢ أفاق كولاتاين للتو... في حلم كان،
وطلب من لوكريتس التوقف عن الأحزان،
وفي نهر لوكريس الدامي البارد كالصلب هوى،
وغسل عن وجهه شحوب الرهبة،
وبد' وكأنه سيموت معها من الزمن فترة،

حتى طالبته الرجولة بالتحكم في أنفاسه،
و للانتقام لموتها يحيا.
١٧٧٩/٢٥٥ حنقُ روحِهِ الداخلية الشديد عاونَه،
على السكوت عن الحديث، وكَبَّلَ لسانَه،
وقد صار مسعورا ، فالحاكم على استخدامه الأحزان،
أو يبعده عما يريح القلب من كلمات كل هذا الزمان،
شرع في الحديث ، تتدافع الكلمات من شفته
ضعيفة ، ومتعجلة لتساعد الواهن قلبه،
ولا أحد يستطيع تمييز ما ينطق به.
١٧٨٦/٢٥٦ وأحيانا ينطق باسم " تاركوين " طبيعي جلي،
ولكن من بين قواطعه ، كما لو أنه يمزقه،
عاصفة شديدة حتى تجلب المطر،
أعاقت مد أحزانه ،كي تؤججها أكثر،
وأخيرا أمطرت ، والرياح المشغولة استسلمت،
وعندئذٍ كفتا بكاء الابن والأب تساوتا،

مَن سيبكي أكثر ، مِن أجل الابنة أو الزوجة.

١٧٩٣/٢٥٧ وأحدهما يدعى أنها له ، والآخر الادعاء

نفسه يردد،

ولن يكسب هذه الدعوة منهما أحد،

يقول الأب: " إنَّها لي "... " يا إلهي إنَّها لي "

ويجيب الزوج " لا تأخذ مِن الأحزان نصيبي،

ولا تدع أي نادب يقول أنه يبكي



مِن أجلها ، لأنها كانت ملكي،

ويجب أن لا يبكيها أحد سوى كولاتاين.

٢٥٨/١٨٠٠ قال لوكريتس " يا إلهي ، هذه الحياة أنا من

وهبها،

والتي اهدرتها مؤخرا في ريعانها"

وقال كولاتاين: " يالا حزني ، يالا حزني " كانت زوجتي،

لقد كانت ملكي ، ولقد قتلت بالفعل نفسي ،

" ابنتي " ، " زوجتي " ضوضاء شبَّعت الهواء المتفرق،

والذي لروح لوكريس يطوّق،

وأجاب على صوتهما: " ابنتي " و " زوجتي " .

١٨٠٧/٢٥٩ ومُنْتَزِعُ السكّين من لوكريس بروتس،

حين لاحظ للأحزان هذا التنافس،

شرع يغلف الذكاء بالكبرياء والوقار،

ويدفن في جرح لوكريس للحماقة آثار،

هكذا قدروه الرومان،

كالمهرجين البسطاء في بلاط السلاطين،

ولذكر الحماقات وكلمات المداعبة يطلقون.

٢٦٠/ ١٨١٤ والآن وقد ألقى جانبا الواهي هذا الرداء،

بعد أن اضطره للتنكر به عظيم الدهاء،

ودعم بنزوي الفطنة المخبأة من زمن ،

ليوقف الدمع في عين كولاتين،

قال : " أنت أيها السيد الروماني المساء إليك ، انهض،

دع نفسي قليلة الخبرة ، والعهد بها حمقاء،

وأطلق للتعلم خبرتك الطويلة من أمد والذكاء .

١٨٢١/٢٦١ كولاتاين : لأي سبب تعالج الأحزان بالأحزان؟

أتعين الجراح جروح ، أو يعين الهم موجع الأفعال ؟

انتقام هو ، أن توجه الضربة لنفسك ؟

لفعلته المشينة ، تنزف بسببها الحبيبة زوجتك ؟

إنه لسلوك طفولي يسلكه ضعاف العقول ،

وزوجتك البائسة أساءت بهذه الطريقة فهم الأمور ،

فذبحت نفسها ، والأولى أن يكون عدوها المبتور .

١٨٢٨/٢٦٢ أيها الروماني الباسل : بقلبك لا تغرق ،

في ندى الأحزان الذائب ،

واركع معي ساعد في حمل نصفك الآخر،

كي نثير آلهة الرومان بالدعاء والتوسل ،



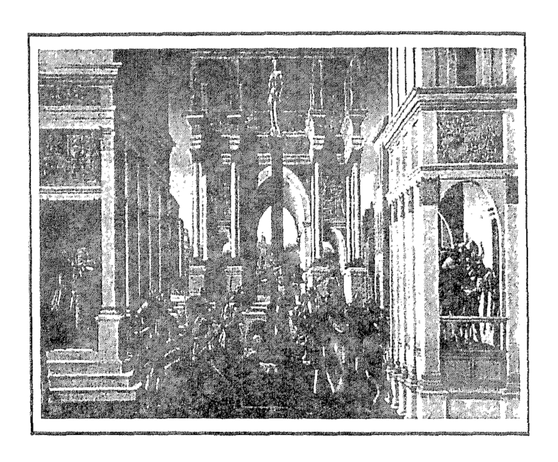
كيف سمحوا لفظيع الأفعال تَحْصل،
لأن روما نفسها في صورتهم بالعار موصومة ،
وتطارَد في شوارعها الجميلة بأذرعنا المتينة .



٢٦٣/١٨٣٥ الآن باسم الذي نعبد " كابيتول " [١]،
وباسم الذي لطخ بغير عدل ، هذا الدم الفضيل ،
بشمس السماء الجميلة المولِّدة لزروع الأرض الخصبة ،
لكل حقوق مواطنينا والحفاظ عليها في روما ،

[١] وهو هيكل " جوبيتر " القديم في روما

وبحق روح لوكريس الطاهرة ، من للتو اشتكت
لنا الإساءات التي إليها وُجِّهَتْ
وبـــهذه السكين الدموية سننتقم لزوجة طالما أخلصتْ.
١٨٤٢/٢٦٤ أنهى مقولته ، وضرب على صدره بيده ،
وقبل السكين القاتلة ، كي ينهي قسمه ،
وحث الباقين على الانضمام لقراره ،
والناظرون في عجب وافقوا على كلماته ،
وحنوا ركبهم إلى الأرض مجتمعين
وما تفوه به بروتس من قسم
أعاده ثانية ، وهم به مقسمين
١٨٤٩/٢٦٥ وإذ على هذا القرار الحكيم اتفقوا،
أن يحملوا لوكريس الميتة إلى هناك قرروا،
في شوارع روما جسدها الدامي يعرضوا،
وهكذا على الملأ فعلة تاركوين الحقيرة قد فضحوا،
والتي في سرعةٍ وجدٍ بها قاموا،
والرومان اتفقوا وأجمعوا،



١٨٥٥ على النفي الأبدي لتاركوين.

*****

هذا الكتاب

هنا مرة أخرى يغوص بنا شكسبير ، هذا الشاعر العملاق إلى أعماق النفس البشرية، ليقدم لنا درسا أخلاقيا قيما، في إطار قصصي رائع، وبلاغة لفظية وصور شعرية خلابة.

نرى هنا لوكريس رمز الفضيلة والجمال، ونموذج الزوجة المثالية، تقع في حبائل هذا الشيطان الشبق، الأمير "تاركوين"، فيسلبها عفتها وشرفها، فلا تجد بديلا لمحو عارها سوى القضاء على جسدها المدنس.

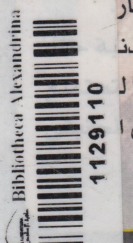
إنها حقا رحلة شعرية رائعة، يصحبنا فيها "شكسبير"، لنرى عواقب الشهوة الشيطانية التي تستحوذ على الإنسان وتقوده إلى طريق الدمار والندم والإنهيار

عزيزي القارئ أترى لوكريس العفيفة مذن

أم أن زوجها "كولاتين" كان وراء هذه المأساة؟ ل

معنا بعزف شكسبير ونقف معا على يد القاتل ا

لهذه الزوجة العفيفة.





المكتب الجامعى الحديث
مساكن سوتير - أمام سيراميكا كليوباترا
عمارة (5) مدخل (2) - الأزاريطة - الإسكندرية
ت: 00203/4865277 فاكس: 00203/4843879